بيوت الجنة ومنازلها

وصفها والسبيل إليها

تأليف

أبي مالك عدنان المقطري

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المقدمة..

إن البيت نعمة من نعم الله الكثيرة التي من بها على الإنسان قال تعالى: {وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأنعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ }النحل٨٠.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ {التفسير ١٤٨/٦}: " وهذه الآية فيها تعديد نعم الله تعالى على الناس في البيوت " أ.هـ .

والبيت سكن ومأوى وستر، وفيه منافع متعددة فمن ذلك:

أنها ستر لاسيما للمرأة إذ يقول تعالى: { وقرن في بيوتكن } فأمر الله نساء المسلمين بالقرار في البيوت ولزومها، وإن كان الخطاب لنساء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد دخل غيرهن فيه، والبيت مكان لحفظ النفس من الشرور والفتن ففي حديث ثوبان ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (طوبى لمن ملك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته) رواه الطبراني[1].

وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (سلامة الرجل في الفتنة أن يلزم بيته) رواه الديلمي[2].

وعند الترمذي عن عقبة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابكي على خطيئتك).[3]

وجعل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ البيت الواسع من السعادة فقال : (أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء} رواه أحمد وابن حبان وأبو نعيم[4].

وكان من تعجيل الله تعالى العقاب لبعض الكفار أن سلبهم نعمة القرار في بيوتهم، ومن ذلك ما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى :{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ }الحشر:٢

والمعني بهذه الآية هم يهود بني النضير الذين نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ـ صلى الله عليه

---

[1] رواه الطبراني في الأوسط برقم :(٢٣٤٠) .وصححه الألباني في صحيح الجامع :(٣٩٢٩) .

[2] وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم :(٣٦٤٩) .

[3] رواه الترمذي برقم :(٢٤٠٦) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة :(٨٨٨) .

[4] رواه أحمد :(١ / ١٦٨) دون ذكر(الجار الصالح) ، وابن حبان في صحيحه : (١٢٣٢)،، وأبونعيم في الحلية حديث :(١٣٠٧٩) ، وصححه الألباني في الصحيحة برقم : (٢٨٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسلم. فحل الله بهم بأسه، وأنزل عليهم قضاءه، وكان عاقبتهم الخزي في الدنيا مع ما يدخره لهم في الآخرة من العذاب الأليم.

فأجلاهم النبي. صلى الله عليه وسلم. ، وأخرجهم من حصونهم الحصينة ، وبيوتهم المتينة.

فانظر كيف جعل الله . عز وجل . خروج هؤلاء القوم من بيوتهم وتشردهم منها نقمةً ، وعذابا ، وخزيا عظيماً، وعلى كل فالبيت نعمة عظيمة من نعم المولى . عز وجل . .

وكم يسعى الإنسان في هذه الحياة للبحث عن بيت واسع، أو مسكن مريح، و لر بما رأيته يكد ويسهر الليالي الطوال لتحقيق هذه الغاية، والسعي وراء هذا الهدف، ومنهم من يوفق لذلك، وآخرون يموتون وتموت معهم أحلامهم.

ثم اعلم أنه لما كان البيت بهذه الأهمية في الدنيا ، فهو في الآخرة أعظم من ذلك بكثير، إذ أن الإنسان إن لم يسعَ إلى بناء بيت في جنة الخلد فهو لزاما يودي بنفسه إلى منازل النار، وجهنم و بئس القرار.

وبيوت الدنيا فانية لا محالة مهما كان طولها ، وعرضها ، ومتانتها ، وصلابتها ، فلا خلود لأحد في هذه الحياة.

قال تعالى : {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ }الأنبياء: ٣٥. ٣٤

ولما رأينا الناس في هذا الزمان قد طغت عليهم الماديات ، واشتغلوا بحطام الدنيا الفانية، والتكالب على متاعها الزائل، وألهاهم تشييد القصور والعمارات في الدنيا عن بناء منازل الجنة، كان لا بد من وقفة لتأخذ بالقلوب إلى جنة الرحمن، وتشوقها لمنازل وقصور في أعلى الجنان.

وإن كان بعض المسلمين قد حُرم من قصور الدنيا ، وبيوتها الفانية الزائلة، فليعلم يقيناً أن الله سيعوضه في الجنة بقصور تجري من تحتها الأنهار.

ولن يكون ذلك إلا بالسير على خطى هذا الدين، والتمسك بأوامره، وعلى المسلم وهو يقرأ في فضل البيت، وعظيم أهميتها في الحياة الدنيا أن يتذكر بذلك بيوت الجنة، ولا تشابه بين بيوت الدنيا ، وبيوت الجنة ، ولو لم يكن من ذلك إلا أن موضع السوط في الجنة خير من الدنيا بأسرها، وزينتها وبهرجها ، فكيف ببيت طوله بالكيلومترات ، والأميال، وقصر مشيد إلى الأعالي .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي حديث سهل بن سعد الساعدي . رضي الله عنه . أن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال: (لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها) رواه البخاري[1].

ومن خلال استعراض النصوص في وصف بيوت الجنة ومنازلها يتبين لك الفارق الكبير، بل إنه لا مقارنة؛ لقول عبد الله بن عباس. رضي الله عنهما . : (ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء)[2].

وكتبه

أبومالك عدنان بن عبده بن أحمدبن سعيد بن علي المقطري

في الخامس من محرم لسنة واحد وثلاثين وأربعمائة وألف

من هجرة المصطفى. صلى الله عليه وآله وسلم. .

من مدينة تعز اليمانية

[1] - أخرجه البخاري : { ٢٨٩٢ }

[2] أخرجه الطبري في جامع البيان : القول في تأويل قوله: {واتوا به متشابهاً } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وصف بيوت أهل الجنة وغرفهم

قال الله تعالى : {لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنهارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ }الزمر٢٠.

قال ابن القيم . رحمه الله . : (حادي الأرواح) ص: ١٢٧:

" فأخبر أنها غرف فوق غرف ، وأنها مبنية بناء حقيقة، لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل، وأنه ليس هناك بناء، بل تتصور النفوس غرفاً مبنية كالعلا لي بعضها فوق بعض، حتى كأنها تنظر إليها عياناً ، ومبنية : صفة للغرف الأولى والثانية ، أي: لهم منازل مرتفعة وفوقها منازل أرفع منها" أ.هـ.

وقال العلامة ابن كثير- رحمه الله تعالى . (تفسير القرآن: ٥٣/٤): "أخبر الله . عز وجل . عن عباده السعداء أن لهم غرفاً في الجنة، وهي القصور أي الشاهقة ، { من فوقها غرف مبنية } طباق فوق طباق مبنيات ، محكمات ، مزخرفات ، عاليات" أ. هـ .

ومع حسنها وبهائها وصفائها تجري من تحتها الأنهار المتدفقة، الساقية للبساتين الزاهرة ، والأشجار الطاهرة، فتغل بأنواع الثمار اللذيذة، والفاكهة النضجية[1].

فتسلك الأنهار من خلال بيوتهم كما يشاءوا ، وأين أرادوا . فهي بذلك جامعة لأسباب النزهة ، وبهذا وعد الله عباده المتقين ، وخلقه المؤمنين، وما دام أن الله وعدهم ، فهو لا يخلف الميعاد، فليوفوا بخصال التقوى ليوفيهم أجورهم[2].

وفي سورة الفرقان بعد ذكره . تبارك وتعالى . لصفات عباده المؤمنين ، وأخلاقهم الكريمة التي تحلو بها، وعاشوا معها فكان لهم في الدنيا الذكر الحسن، والثناء الجميل ، وأما يوم لقائهم لربهم ، وقدومهم عليه فقال تعالى : {أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً }الفرقان:٧٥ .

فبسبب صبرهم نالوا المنازل الرفيعة، والمساكن الأنيقة.

قال ابن القيم . رحمه الله . (حادي الأرواح ص: ١٢٧): "وتأمل كيف جُعل جزاؤهم على هذه الأفعال المتضمنة للخضوع والذل والاستكانة لله، الغرف والتحية والسلام في مقابلة صبرهم على سوء خطاب الجاهلين لهم، فبدلوا بذلك سلام الله وملائكته عليهم " أ.هـ .

---

[1] - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة السعدي :(ص: ٧٢٢) .

[2] - راجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير : { ٤ / ٥٤} ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي :{ ٨ / ٤٨٩ } ، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي : { ٧٢٢ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ٣٧٧/٧ : " {الْغُرْفَةَ } : الدرجة الرفيعة وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها، كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا، حكاه ابن شجرة، وقال الضحاك: الغرفة الجنة، { بِمَا صَبَرُوا } : أي بصبرهم على أمر ربهم، وطاعة نبيهم . عليه أفضل الصلاة والسلام . وقال محمد بن علي بن الحسين :{ بِمَا صَبَرُوا } على الفقر ، والفاقة في الدنيا . وقال الضحاك: " بما صبروا على الشهوات} أ.هـ. ثم قال تعالى :{ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً } " الفرقان : ٧٥ – ٧٦.

قال العلامة ابن كثير (تفسير القرآن، العظيم: ٣٤٢/٣) : " أي يبتدرون فيها بالتحية والإكراه، ويلقون التوقير والاحترام، فلهم السلام وعليهم السلام، فإن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.

وقوله تعالى :{خالدين فيها} أي : مقيمين لا يظعنون ، ولا يحولون ، ولا يموتون ، ولا يزولون عنها ، ولا يبغون عنها حولا، كما قال تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ }هود: ١٠٨ الآية، وقوله تعالى : { حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً} أي : حسنت منظراً ، وطابت مقيلاً ومنزلا " أ.هـ .

فقد جمعت الآيتان نعيماً عظيماً لأصحاب الغرف في الجنة فمن المنازل الرفيعة وأفضلها إلى السلام والتحية والتوقير والإكرام، إلى الخلود وأبدية المقام ثم إلى الاستقرار وطيب المقيل والمنزل. وزيادة على هذا كله فهم في جوار الرحمن . جل جلاله . .

وفي سورة سبأ يذكر لنا القرآن وصفاً آخراً لمن سكن الغرف واعتلا القصور في جنة العزيز الغفور فقال تعالى: {فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ }سبأ: ٣٧.

فهم في غرف الجنة في أمان مطلق، في أمان من سقوط سقفها، أو نزول المياه من أثقابها، وفي أمان من أذية هوام الدنيا وحشراتها، وفي أمان من انفجار مجاريها، وقذارة رائحتها، في أمان من انقطاع مياهها أو خلل في كهربائها، في أمان من شجار مع جيرانها بحدود وعلامات فيها، ويأمن صاحب الإيجار في الدنيا من تعب مؤجرها، فينقل إلى بيت باسمه، وملك يمينه.

يقول ابن كثير . رحمه الله . (تفسير القرآن: ٥٤٩/٣) : {في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس ، وخوف ، وأذى . ومن كل شر يحذر منه} أ.هـ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال القرطبي {الجامع: ٢٦٢/٨}: "{ ءآمنون } أي : من العذاب ، والموت ، والأسقام ، والأحزان" أ.هـ .

ورغم ما يعيشه المؤمن في غرف الجنة وقصورها من الأمان، والخير والاطمئنان فهو كذلك في مسكن طيب كما وصفه المولى . عز وجل . فقال :{ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ } .

فجمعت كل طيب، من علو ، وارتفاع ، وحسن بناء ، وزخرفة، قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ : "هي غرف من ياقوت ، وزبرجد ، ودرر".

ولقد أخبر الخليل إبراهيم . عليه الصلاة والسلام . هذه الأمة عن طيب الجنة وتربتها، فعن عبدا لله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان ،وأن غراسها سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .) رواه الترمذي([1]) .

بناء بيوت الجنة :

ومن طيب مساكن الجنة أن بناءها من ذهب وفضة ، وطينتها المسك والإذخر، وترابها الزعفران، فعن عبدالله بن عمر . رضي الله عنهما . قال: سئل رسول الله . صلى الله عليه وسلم . عن الجنة فقال: (من يدخل الجنة يحيا ولا يموت، وينعم ولا يبأس ، ولا تبلى ثيابه، ولا يفني شبابه، قيل: يا رسول الله؟ كيف بناؤها قال: لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها مسك أذخر، وحصباؤها([2])اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران} رواه ابن أبي شيبة ([3]).

---

[1] - أخرجه الترمذي . كتاب الدعوات . حديث : (٣٤٦٢) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة :(١٠٥) .

[2] - حصباؤها : الحصباء هي الحصى ، والملاط :الطين

[3] - رواه بن أبي شيبة في مصنفه : { ١٣ /٩٥ } ، وحسنة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب : (٣٧١٣) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صفاء بيوت الجنة:

عن أبي مالك الأشعري . رضي الله عنه . قال: إن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال: {إن في الجنة غرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام} رواه أحمد وعبد الرزاق في مصنفه([1]).

وفي حديث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . :{إن في الجنة لغرفاً يُرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها، فقام أعرابي فقال: يا رسول الله لمن هي؟ قال: لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام} رواه الترمذي([2]).

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه . أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . قال: {إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما يتراءون الكوكب الغابر في الأفق} متفق عليه([3]).

فمن حسن هذه المنازل وصفائها أنه يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، ومن علوها وارتفاعها إنها تُرى كما يُرى الكوكب الغابر في الأفق الشرقي أو الغربي([4]).

خيمة هذا وصفها فما بالك بالقصور:

عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال: {إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم فلا يُرى بعضهم بعضاً} متفق عليه([5]).

وفي لفظ لمسلم :{في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل . ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن}. وفي رواية {طولها في السماء ستون ميلاً} وهذه الخيام غير الغرف والقصور بل هي خيام في البساتين ، وعلى شواطئ الأنهار([6]) .

طول الخيمة ستون ميلاً، والميل بتقديرات العصر كيلو ونصف ، فيكون مجموع طول الخيمة تسعون كيلومتراً . فهذا حجم الخيمة، فما بالك بالغرف، وكيف تكون القصور.

---

[1] - أخرجه أحمد :{ ٥ / ٣٤٣ } ، وعبد الرزاق :{ ١١ /٤١٨ } ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع : { ٢١٢٣ }

[2] - أخرجه الترمذي . كتاب صفة الجنة . باب ما جاء في صفة الجنة برقم : { ٢٥٢٧ } ، وحسنه الألباني في المشكاة برقم :{ ١٢٣٣ } .

[3] - أخرجه البخاري : { ٣٢٥٦ }، ومسلم : { ٢٨٣٨ } من حديث أبي موسى الأشعري . رضي الله عنه . .

[4] - تيسير الكريم الرحمن . للعلامة السعدي ص : ٧٢٢

[5] - حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح : (ص: ١٩٠) .

[6] - أخرجه البخاري : { ٣٢٥٦ } ، ومسلم : { ٢٨٣١ } عن أبي سعيد الخدري . رضي الله عنه . .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ : {الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون باباً كلها من درة}([1]).

وقال عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : (الخيمة درة من لؤلؤة مجوفة طولها فرسخ ، وعرضها فرسخ ، ولها ألف باب من ذهب حولها سرادق طوله خمسون فرسخاً، يدخل عليه من كل باب منها ملك بهدية من عند الله ـ عز وجل ـ وذلك قوله:{ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب } . الرعد: ٢٣([2]).

حور مقصورات في الخيام:

في خيام اللؤلؤ المجوفة للمؤمن أهل قد تهيأن ، وأعددن أنفسهن لأزواجهن.

والحور: جمع حوراء: وهي المرأة الشابة الحسناء، الجميلة، البيضاء، شديدة سواد العين. وقال زيد بن أسلم: الحوراء التي يحار فيها الطرف، وعين : حسان الأعين، وفي تعريف الحور العين توضيح جلي لمكنون جمالهن ، وسلبهن للعقول.

ويقول تعالى: في وصف صاحبات الخيام من الحور العين: {كأنهن الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَان }الرحمن:٥٨.

قال الحسن وعامة المفسرين: (أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان، شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان)، وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : (والياقوت حجر لو جعلت فيه سلكاً، ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر).

وقال تعالى :{فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حسان }الرحمن:٧٠.

فالخيرات جمع خيرة، فهن خيرات الصفات ، والأخلاق ، والشيم، حسان الوجوه.

وفي وصفهن يقول تعالى :{ عُرباً أترابا } وعُرباً: جمع عروب، وهن المُحببات إلى أزواجهن، يريد حسن مواقعتها ، وملاطفتها لزوجها عند الجماع.

والأتراب : اللاتي على سن واحدة، وهي ثلاث وثلاثين سنة التي هي غاية ما يتمنى ، ونهاية سن الشباب، وقال ـ عز وجل ـ عنهن: {كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ }الواقعة: ٢٣ . أي : كأنهن اللؤلؤ الأبيض الرطب الصافي البهي، المستور عن الأعين ، والريح ، والشمس، الذي يكون لونه من أحسن الألوان، الذي لا عيب فيه بوجه من الوجوه ، فكذلك الحور العين، لا عيب فيهن بوجه من الوجوه بل هن كاملات الأوصاف، جميلات النعوت، لن تجد فيها إلا ما يروق الخاطر، ويسر الناظر.

---

[1] - أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة :(٣٢٧) .

[2] - أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة برقم :{ ٣١٨ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال عز وجل: {وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً }النبأ: ٣٣.

قال الكلبي: هن المفلكات اللواتي تكعبت ثديهن، وتفلكت، وأصل اللفظة من الاستدارة، والمراد أن ثديهن كالرمان ليست متدلية إلى أسفل ويسميان نواهد(١).

وفي سنة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ : {للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب} . رواه أحمد.(٢)

معرفة أهل الجنة لمنازلهم فيها من غير استدلال:

قال تعالى { وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ{٤} سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ{٥} وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ{٦} سورة محمد.

قال مجاهد:(يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحداً).

وقال ابن عباس: (هم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم).

وقال محمد بن كعب: (يعرفونها كما تعرفون بيوتكم في الدنيا، إذا انصرفتم من يوم الجمعة).

وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري . رضي الله عنه . أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال: {والذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة أدل منه بمسكنه الذي كان في الدنيا}(٣)".(٤).

رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة

لما كانت منازل الجنة، وبيوتها بهذه المنزلة الجليلة ، والمرتبة العظيمة، والأوصاف الجميلة التي تبهر العقول ، وتذوب النفوس شوقاً أمام أوصافها وجمالها ، فلما كانت كذلك، شمر له المشمرون، ورفعوا راية الاجتهاد في الطاعة، والتضحية في سبيل الله تعالى من أجل الوصول إلى ذلك النعيم.

وكان مما ذكره لنا القرآن امرأة فرعون، وهي آسية بنت مزاحم.

والتي دعت الله – عز وجل – أن يبني لها بيتاً في الجنة فابتهلت إلى ربها تدعوه وهي في وسط العذاب ، وبين الأوتاد . قائلةً: { رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ }التحريم:١١.

---

١ – انظر حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص:(٢٠٢ ـ ٢٠٤ } ، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ص :(٨٣٣) .

٢ – رواه أحمد :{ ٨٣٣٣}، وصححه الألباني في الصحيحة : { برقم : ١٧٣٦ } .

٣ – أخرجه البخاري برقم : (٢٤٤٠) .

٤ – راجع حادي الأرواح لابن القيم ص: { ١٣١ . ١٣٢ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ودعنا . أخي الكريم . نحذو حذو هذه المرأة الصالحة والقانتة الصابرة في طلب بيت في الجنة ، وسلوك سبيل الوصول إلى منازلها، والسعي لنيل العيش في قصورها، والتمتع بخيامها .

وفي هذا الكتاب – أضع بين يديك – ما يُعينني وإياك على نيل هذا المراد، وبلوغ المرام، فلكل شيء ثمن ولمنازل الجنة ثمن لا بد من دفعه، وطريق ينبغي سلوكه، جاء بيانه في كتاب الله وسنة رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ترى نصوصها في ثنايا هذا الكتاب سائلاً المولى . عز وجل . أن ييسر لنا سلوك هذا السبيل. فاللهم آمين.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من جاءت النصوص بتسمية قصورهم في الجنة من الأنبياء والصالحين

نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

قال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاء جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنهار وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً }الفرقان١٠.

إن قصور النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الجنة كثيرة، ومن تلك القصور التي رزقها الله نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الجنة:

قصر في جنة عدن:

جاء في صحيح البخاري عن سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لنا: {أتاني الليلة آتيان فابتعثاني، فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة، فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ، وشطرٌ كأقبح ما أنت راءٍ، قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر، فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب السوء عنهم ، فصاروا في أحسن صورة، قالا لي: هذه جنة عدن وذاك منزلك قال: أما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن، وشطر منهم قبيح، فإنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، تجاوز الله عنهم}(١).

قصر مثل الربابة البيضاء:

وفي رواية أخرى في صحيح البخاري قال: {فانطلقنا فانتهينا إلى روضة عظيمة لم أرَ روضة قط أعظم منها ولا أحسن، قال: قالا لي: ارْقَ فيها، قال: فارتقينا فيها فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة، فأتينا باب المدينة، فاستفتحا ففُتح لنا، فدخلناها، فتلقانا فيها رجال شطرٌ من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ وشطرُ كأقبح ما أنت راءٍ، قال: قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر. قال: وإذا نهر معترض يجري كأن ماءه المحض في البياض، فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم، فصاروا في أحسن صورة، قال: قالا لي: هذه جنة عدن، وهذاك منزلك قال: فسما بصري

---

١ - أخرجه البخاري في صحيحة : { ٤٦٧٤ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صُعُداً، فإذا قصرُ مثل الربابة البيضاء[1]. قال: قالا لي: هذاك منزلك قال: قلت لهما: بارك الله فيكما ذراني فأدخله. قال: قالا: أما الآن فلا ، وأنت داخله..}[2].

قصر على نهر الكوثر:

عن أنس بن مالك . رضي الله عنه . أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: {ما هذان النهران يا جبريل؟ قال: هذا النيل والفرات عنصرهما، ثم مضى به في السماء، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب يده، فإذا هو مسك أذفر قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك} رواه البخاري[3].

منزل مثل السحاب له . صلى الله عليه وسلم . في الجنة:

عن سمرة بن جندب قال: {كان النبي . صلى الله عليه وسلم . إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه، فقال: {من رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأى أحد قصها، فيقول : ما شاء الله، فسألنا يوماً، فقال: {هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قلنا: لا ، قال: لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، إلى أن قال: فرفعتُ رأسي فإذا فوقي مثل السحاب، قالا: ذاك منزلك، قلت: دعاني أدخل منزلي، قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملت أتيت منزلك} رواه البخاري[4].[5].

---

[1] – قال الخطابي: الربابة هي السحابة التي ركبت بعضها على بعض. الفتح : (١٢ /٤٤٤) .

[2] – أخرجه البخاري رقم : {٧٠٤٧ } .

[3] – أخرجه البخاري رقم : { ٧٥١٧ }.

[4] – أخرجه البخاري رقم :{ ١٣٨٦ } .

[5] – منقول من كتاب(رحلة إلى الدار الآخرة)لأبي عمارمحمود المصري مع تصرف يسير .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خديجة بنت خويلد . رضي الله عنها :.

عن أبي هريرة . رضي الله عنه . قال: {أتى جبريل النبي . صلى الله عليه وسلم . فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام، أو طعام ،أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ، ولا نصب} رواه البخاري ومسلم (١) .

وعن عبد الله بن أبي أوفى قيل له: أكان رسول الله . صلى الله عليه وسلم . بشر خديجة ببيت في الجنة؟ قال: (نعم بشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ، ولا نصب) . رواه البخاري ومسلم(٢) .

وعن عائشة . رضي الله عنها . قالت: بشر رسول الله . صلى الله عليه وسلم . خديجة بنت خويلد ببيت في الجنة} رواه مسلم(٣).

قال النووي ـ رحمه الله تعالى . (شرح مسلم ١٥/١٦٦): ({ببيت من قصب} قال جمهور العلماء : المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف، وقيل قصب من ذهب منظوم بالجوهر ، قال أهل اللغة: القصب من الجوهر ما استطال منه في تجويف. قالوا: ويقال لكل مجوف قصب ، وقد جاء في الحديث مفسراً ببيت من لؤلؤة مخبأة ، وفسروه بمجوفة).

قال الخطابي وغيره: (المراد بالبيت هنا القصر. وأما {الصخب} فبفتح الصاد والخاء وهو :الصوت المختلط المرتفع ،{والنصب} المشقة والتعب). أ.هـ

وقال الحافظ ابن حجر {فتح الباري ٧/١٣٨}: (قال السهيلي: النكتة في قوله: {من قصب} ولم يقل من لؤلؤة مجوفة أن لفظ القصب مناسبة لكونها أحرزت قصب السبق بمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها ولذا وقعت هذه المناسبة في جميع ألفاظ هذا الحديث، انتهى. وفي القصب مناسبة أخرى من جهة استواء أكثر أنابيبه وكذا كان لخديجة من الاستواء ما ليس لغيرها. وأما قوله : {ببيت} فقال أبو بكر الإسكافي في {فوائد الأخبار} :المراد به بيت زائد على ما أعد الله لها من ثواب عملها، ولهذا قال: {لا نصب فيه}: أي لم تتعب بسببه. قال السهيلي: لذكر البيت معنى لطيف لأنها كانت ربة بيت قبل المبعث ثم صا رت ربة بيت في الإسلام منفردة به، فلم يكن على وجه الأرض في أول يوم بعث النبي . صلى الله عليه وسلم . بيت إسلام إلا بيتها، وهي فضيلة ما شاركها فيها أيضاً غيرها .

---

١ - أخرجه البخاري : { ٣٨٢٠ }و مسلم : { ٢٤٣٢ }

٢ - أخرجه البخاري :{ ٣٨١٩ } ومسلم : { ٢٤٣٣ }

٣ - أخرجه مسلم : { ٢٤٣٤ }

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال: وجزاء الفعل يذكر غائباً بلفظه ، وإن كان أشرف منه، فلهذا جاء في الحديث بلفظ البيت دون لفظ القصر. انتهى.

وفي ذكر البيت معنى آخر، لأن مرجع أهل بيت النبي . صلى الله عليه وسلم . إليها، لما ثبت في تفسير قوله تعالى :{إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت} قالت: أم سلمة: {لما نزلت دعا النبي . صلى الله عليه وسلم . فاطمة وعليا والحسن والحسين فجللهم بكساء، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي} الحديث أخرجه الترمذي وغيره، ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة لأن الحسنين من فاطمة وفاطمة بنتها، وعلي نشأ في بيت خديجة ، وهو صغير ثم تزوج بنتها بعدها، فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها} . أ.هـ.

وقال : (لا صخب فيه ولا نصب).. وقال السهيلِي: مناسبة نفي هاتين الصفتين أعنى المنازعة والتعب أنه . صلى الله عليه وسلم . لما دعا إلى الإسلام خديجة طوعا فلم تحوجه إلى رفع صوت ، ولا منازعة ، ولا تعب في ذلك بل أزالت عنه كل نصب، وأنسته من كل وحشة، وهونت عليه كل عسير، مناسب أن يكون منزلها الذي بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعلها} أ.هـ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ :

عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء[1])امرأة أبي طلحة وسمعت خشفة، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال ، ورأيت قصراً بفنائه[2] جارية، فقلت: لمن هذا؟ فقال: لعمر، فأردت أن أدخله فانظر إليه، فذكرت غيرتك . فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار) متفق عليه[3].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: بينا نحن عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :(إذ قال: بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعُمر، فذكرت غيرته فوليت مدبراً فبكى عمر ، وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟) رواه البخاري ومسلم[4].

وعند الترمذي عن عبد الله بن بريدة قال: حدثني أبي بريدة قال: أصبح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدعا بلالاً، فقال: يا بلال بما سبقتني إلى الجنة ما دخلت قط إلا سمعت خشخشتك أمامي . دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامي ، فأتيت على قصر مربع مشرف[5] من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر، قالوا لرجل من العرب، فقلت : أنا عربي لمن هذا القصر؟، فقالوا: لرجل من قريش، قلت: أنا قرشي، قالوا: لرجل من أمة محمد، قلت: أنا محمد لمن هذا القصر؟ قالوا :لعمر بن الخطاب، فقال بلال : يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين ، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن لله علي ركعتين}[6].

قال الحافظ ابن حجر في شرحه لحديث أبي هريرة المتقدم {الفتح ٤٥/٧}: (وفيه فضيلة ظاهرة لعمر ـ رضي الله عنه ـ).

قلت: ولو لم يكن لعمر إلا هذه الفضيلة لكفى، كيف والأحاديث مبثوثة في كتب السنة ناطقة بفضله، مخبرة عن مناقبه متحدثة عن زهده وورعه، وتقواه وخشيته، وفوق هذا وذاك حب الله تعالى ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ له ، فقد كان أحب العمرين إلى الله، ومن أحب الرجال إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

---

[1] - الرميصاء : وهو مصغر الرمصاء مؤنث الأرمص بالراء والصاد المهملة ولقبت بها لرمص كان بعينها .

[2] - والفناء: جانب الدار

[3] - أخرجه البخاري : { ٣٦٧٩ } ، ومسلم { ٢٣٩٥ } .

[4] - أخرجه البخاري : { ٣٦٨٠ } ، ومسلم : { ٢٣٩٥ }.

[5] - أي :له شرفه والشرفة في القصر ما أشرف من بنائه { تحفة الأحوذي :١٠/ ١٢٠ } .

[6] - أخرجه الترمذي برقم : { ٣٦٨٩ } ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم : (١٤٢٣) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آسية بنت مزاحم – امرأة فرعون :

إنها المرأة الصابرة المحتسبة، ممن كمل من النساء، وسيدات نساء العالمين.

عن أبي موسى الأشعري . رضي الله عنه . قال: قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) رواه البخاري(١).

وعند الحاكم عن عائشة . رضي الله عنها . : أن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال: (سيدات نساء أهل الجنة أربع: مريم ، وفاطمة ، وخديجة ، وآسية) (٢).

وما نالت هذه المرأة، هذه المنزلة إلا بالعقل الراجح ، والإيمان الشامخ.

وقد جعلها الله مضرب مثل للمؤمنين في صبرها وثباتها وفي إيمانها، وصدق يقينها.

قال تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ }التحريم:١١.

فمن رجاحة عقلها، وسلامة لبها، أنها طلبت الجار قبل الدار .

وبينما أنت تطوف في ثنايا دعائها، يتضح لك ما عانته من العذاب، وما أصابها من النكال، وكيف ظُلمت من فرعون ، وجنده ظلماً عظيماً، ليس لشيء إلا أنها آمنت برب العالمين ، وكفرت بربوبية فرعون الزائفة ، والتي أعلنها كذباً وزوراً . فقال: { أنا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى }النازعات:٢٤ .

عن سلمان الفارسي قال: {كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها ، وكانت ترى بيتها في الجنة}.

وقيل :سمد يديها ورجليها في الشمس ، ووضع على ظهرها رحى.

وقال أبو العالية: اطلع فرعون على إيمان امرأته، فخرج على الملأ، فقال لهم: ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ ، فأثنوا عليها، فقال لهم: إنها تعبد رباً غيري.

فقالوا له: اقتلها، فأوتد لها أوتاداً ، وشد يديها ورجليها . فقالت: { رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ } ووافق ذلك حضور فرعون، فضحكت حين رأت بيتها في الجنة، قال فرعون: ألا تعجبون من جنونها ؟! إنا نعذبها وهي تضحك، فقبض الله روحها(١).

---

١ - أخرجه البخاري برقم : { ٣٧٧٠}.

٢ - أخرجه الحاكم في مستدركه : (٣ / ١٨٥) ، وانظر صحيح الجامع : { ٣٦٧٨ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فبيت الجنة الذي طلبته احتاج منها إلى تضحية وبذل ، وجادت بنفسها لله تعالى في سبيل الوصول إلى بيت في الجنة، فالثمن غالي ، والسلعة أغلى.

[1] - انظر تفسير ابن كثير : { ٤ / ٤٢٠ } ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي :{ ١٠ / ٩٣ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دار الشهداء:

عن سمرة بن جندب . رضي الله عنه . أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال: (إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق وإني انطلقت معهما، فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بي في الشجرة، وأدخلاني داراً لم أر قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ ، وشباب ، ونساء ، وصبيان، ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارا هي أحسن وأفضل، فيها شيوخ وشباب، فقلت: طوفتماني الليلة، فأخبراني عما رأيت؟ قالا: نعم، .... والشيخ في أصل الشجرة، إبراهيم . عليه السلام . والصبيان حوله فأولاد الناس، والذي يوقد النار مالك خازن النار، والدار الأولى التي دخلت دارُ عامة المؤمنين ، وأما هذه الدار فدار الشهداء ، وأنا جبريل وهذا ميكائيل). رواه البخاري([1]).

وعن أنس بن مالك . رضي الله عنه . أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال: (يؤتى بالرجل يوم القيامة من أهل الجنة فيقول: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب! خير منزل، فيقول: سل وتمنَّ، فيقول: يا رب ما أسال ولا أتمنى إلا أن تردني إلى الدنيا، فأقتل في سبيلك عشر مرات؛ لما يرى من فضل الشهادة). رواه مسلم([2]).

الشهيد : هو من باع نفسه ، وقدم روحه في سبيل الله تعالى، وإرضاءً للمولى . عز وجل . ، لسان حاله :{اللهم خذ من دمي اليوم حتى ترضى} ، وأخرى :{وعجلت إليك ربي لترضى} .

قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالقرآن وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }التوبة:١١١ .

قال العلامة القرطبي {الجامع لأحكام القرآن: ٥/٢٤٤}: " فاشترى الله سبحانه من العباد إتلاف أنفسهم وأموالهم في طاعته، وإهلاكها في مرضاته، وأعطاهم سبحانه الجنة عوضا عنها إذا فعلوا ذلك وهو عوض عظيم لا يدانيه المعوض ولا يقاس به" أ.هـ .

وفضل الشهادة، ومزايا أهلها تطفح بها النصوص من كتاب الله ، وسنة رسول الله . صلى الله عليه وسلم ..

---

[1] أخرجه البخاري : { ١٣٨٦ } .

[2] أخرجه النسائي : { ٣١٦٠ }، وصححه الألباني صحيح الترغيب :{ ١٣٥٣ } ، وهو في مسلم :{ باب الوحدة } هذا الحديث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي هذا الحديث ، في الروضة الخضراء في الشجرة العظيمة أعطاهم الله داراً هي أفضل وأجمل من دار عامة المؤمنين والجزاء من جنس العمل، فيوم أن خرجوا بأنفسهم، وأرواحهم من أجل الله تعالى، وظفروا بذلك عن بقية المؤمنين، كان جزاءهم أن لهم داراً : هي أرفع وأعلى مرتبةً من عامة المؤمنين، فلله درهم ما أعظم أجرهم، وهنيئاً لهم ذلك النعيم . فاللهم ارزقنا الشهادة في سبيلك.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أوصاف أهل البيوت في الجنان

(١)عباد الرحمن هم أهل الغرف في الجنان

قال تعالى :{ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً{٦٣} وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً{٦٤} وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إن عَذَابَهَا كان غَرَاماً{٦٥} إنهَا سَاءتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً{٦٦} وَالَّذِينَ إِذَا أنفقوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكان بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً{٦٧} وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً{٦٨} يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً{٦٩} إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكان اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً{٧٠} وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً{٧١} وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً{٧٢} وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً{٧٣} وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً{٧٤} أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً{٧٥} خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً{٧٦} سورة الفرقان: {٦٣ –٧٦}.

قال الإمام القرطبي {الجامع لأحكام القرآن ٣٧٧/٧} في قوله تعالى :{أولئك يجزون الغرفة بما صبروا} : " {أولئك} خبر {وعباد الرحمن} في قول الزجاج على ما تقدم، وهو أحسن ما قيل فيه، وما تخلل المبتدأ وخبره أوصافهم من التحلي والتخلي، وهي إحدى عشرة: التواضع، والحلم، والتهجد، والخوف، وترك الإسراف، والإقتار، والنزاهة عن الشرك، والزنا، والقتل، والتوبة، وتجنب الكذب، والعفو عن المسيء، وقبول المواعظ ، والابتهال إلى الله" أ.هـ.

فلقد وعد الله تعالى أهل هذه الصفات بالغرف في الجنة، والتكرم عليهم بالقصور العالية ، والمنازل الرفيعة، إنهم عباد الرحمن المنسوبون إلى الله وحده نسبهم إلى ذاته، فهو الرحمن الذي علم أنهم أهل لرحمته ، وأن رحمته تحيطهم عن يمين وشمال ومن فوقهم ومن تحتهم :{جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إنهُ كان وَعْدُهُ مَأْتِيّاً }مريم: ٦١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هؤلاء العباد الذين يئس الشيطان من أن يغويهم ، أو يجد منفذاً للسيطرة عليهم :{قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } ص:٨٢- ٨٣.

وقد رسم القرآن في هذه الآيات صفات عباد الرحمن، وضح فيها معالمهم، وصفاتهم، وجعلهم أنموذجاً يُقتدى بهم، ويتأسى بهم جميع المؤمنين. أتريد أن تكون من عباد الرحمن؟ أتريد أن تتصف بصفات عباد الرحمن قولاً وعملاً ؟، فما أكثر من يقول: أنا من عباد الرحمن، ولكن أفعاله تقول غير ذلك.

فإليك صفات عباد الرحمن الذين نالوا الغرف في الجنان:

الصفة الأولى: {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً}:

الهون: هو الرفق والسكون، قال ابن العربي {أحكام القرآن ٣٩٦/٣} : "وذلك يكون بالعلم ، والحلم ، والتواضع . لا بالمدح ، والكبر ، والرياء ، والمكر". أ.هـ.

وقال القرطبي {الجامع ٣٦٥/٧}: "يمشون على الأرض حلماء متواضعين، يمشون في اقتصاد والقصد والتؤدة ، وحسن السمت من أخلاق النبوة ،وقال . صلى الله عليه وسلم . :{أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس في الإيضاع[1]} رواه البخاري[2].

إن صفة المشي لها عند الله قيمة لأنها تعبر عما في الإنسان من مشاعر وأخلاق ، فالمتكبرون والمتجبرون لهم مشية ، والمتواضعون لهم مشية كل يمشي معبرا عما في ذاته .

وعباد الرحمن يمشون مشية من يعلم أنه من الأرض خرج ، وإلى الأرض يعود : {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى }طه:٥٥

النهي عن مشية المدح ، والبطر، والاختيال.

قال تعالى: {وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً }الإسراء:٣٧.

وفي وصية لقمان لابنه:{ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِن اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ }لقمان:١٨ [3]

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة . رضي الله عنه . أن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال: (بينما رجل ممن كان قبلكم يتبختر يمشي في بردته قد أعجبته نفسه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل[4] فيها إلى يوم القيامة)[1].

---

[1] - الإيضاع: هو السير السريع .

[2] - أخرجه البخاري : { ١٦٧١ } .

[3] - أصل المدح في اللغة : شدة الفرح والنشاط وإطلاقه على مشي الإنسان متبختراً مشي المتكبرين لأن ذلك من لوازم شدة الفرح والنشاط عادة

[4] - أي : يغوص في الأرض ويضطرب في نزوله فيها ، والجلجلة : حركة مع الصوت .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي مسند أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: (من تعظم في نفسه أو اختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان)[2].

ذم التمايت في المشي.

ليس معنى التواضع في المشي أن يمشي المؤمن متماوتاً منكسا رأسه، فلقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسرع الناس مشية ، وأحسنهم ، وأسكنهم، قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ : (ما رأيت أحسن من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحداً أسرع في مشيته من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كأنما الأرض تطوى له.) رواه الترمذي[3].

فكان في مشيته يرفع فيه رجله بسرعة ويمد خطوة، ويقصد سمته برفق وتثبت بدون عجلة، ويسرع إسراعاً لا يخل بالوقار ، ورأت إحدى أزواج ـ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ شباباً يمشون متماوتين فقالت: من هؤلاء؟ ، قالوا: النساك الزهاد، فقالت: لقد رأيت أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما كانوا هؤلاء .

ورأى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ رجلاً يمشي رويداً مطأطأً الرأس فقال: مالك أأنت مريض؟ قال: لا ، فعلاه بالدرة ، وأمره أن يمشي مشية الأقوياء.

فينبغي أن تكون المشية بعيدة عن التبختر والكبر ، وفي ذات الوقت يعلو الماشي الوقار ، والرجولة ، وعدم التمايل ، أو التمييع. والله تعالى أعلم.

الصفة الثانية {وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما}.

لقد هذب الإسلام أتباعه في التعامل مع الآخرين، وعلم المسلمين فن التعامل فما من مجال من المجالات إلا وبين لهم الأخلاق الشرعية التي يتعاملون بها مع الآخرين.

وفي هذه الآية أمر الله بالإعراض عن السفهاء ، وأهل الفحش ، والتفحش، فأرشد الله المسلم أن يدفعهم برفق ولين، ويخاطبهم خطابا يسلمون فيه من الإثم، ومن مقابلة الجاهل بجهله ؛ قال السعدي ـ رحمه الله ـ { تيسير الكريم الرحمن : ٥٨} : "وهذا مدح لهم، بالحلم الكثير ، ومقابلة المسيء بالإحسان ، والعفو عن الجاهل، ورزانة العقل الذي أوصلهم إلى هذه الحال" .

---

[1] - أخرجه مسلم : { ٢٠٨٨ }.

[2] - أخرجه أحمد في مسنده برقم : { ٥٨٠٦ }.

[3] - أخرجه الترمذي : { ٣٦٤٨ } والحديث فيه ضعف .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي غير ما آية يأمر المولى – عز وجل – بالقول الحسن، والدفع بالأحسن قال تعالى : {وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ }القصص:٥٥

وقال تعالى : {وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إن الشيطان يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إن الشيطان كان لِلإنسان عَدُوّاً مُّبِيناً }الإسراء:٥٣.

وقال تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كأنهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ }فصلت: ٣٤.

فحسن الكلام مع الخصوم يطفئ عداوتهم، ويكسر شوكتهم.

الصفة الثالثة: {والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما}.

بعد أن ذكر الله . عز وجل . أخلاق عباد الرحمن مع الخلق، ذكر هنا أخلاقهم مع ربهم، وصلتهم به، من خلال الصلة بين العبد وربه وهي الصلاة :وبالتحديد هنا صلاة الليل أفضل الصلاة بعد الفريضة . يقفون فيها مخلصين لربهم، متذللين له كما قال تعالى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ }السجدة: ١٦.

وقال تعالى :{ كانوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ }الذاريات:١٧.

وقال تعالى : {أَمَّنْ هُوَ قَانت أناء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إنمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ }الزمر:٩ .

وفي حال هؤلاء مع قيام الليل، والتهجد في الأسحار عجائب ، فهاهو مسروق الهمداني تخبر عنه زوجته فتقول: ما كان مسروق يصبح ليلة من الليالي إلا وساقاه منتفختان من طول القيام، وكان إذا فرغ من صلاته يزحف كما يزحف البصير من الضعف.

وكانوا . رحمهم الله . يبكون عند الاحتضار أسفاً لفراق الصلاة ومن هؤلاء عبد الرحمن بن الأسود لما احتضر بكى، فقيل له: فقال: أسفاً على الصلاة والصوم ولم يزل يتلو حتى مات[1].

وتمنى ثابت البناني فقال: اللهم إن كنت أعطيت أحداً الصلاة في قبره، فأعطني الصلاة في قبري، فيقال: إن هذه الدعوة استجيبت له، وأنه رئي بعد موته يصلي في قبره[2].

---

[1] – سير أعلام النبلاء :{ ٥ / ١١ } .

[2] – سير أعلام النبلاء :{ ٥ /٢٢٢}.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصفة الرابعة: {والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقراً ومقاماً}.

إنها صفة الخوف من الله التي عشعشت في قلوب عباده المؤمنين، فأقبلوا يبتهلون إليه بأن يصرف عنهم عذاب النار. ومن دعائهم كذلك: { رَبَّنَا إِنَنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }آل عمران:١٦.

وقال ـ عز وجل ـ:{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِن عَذَابَ رَبِّكَ كان مَحْذُوراً }الإسراء:٥٧ ، وقال تعالى : {وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ }المعا رج:٢٧ ، وقال تعالى: { وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ{٢٥} قَالُوا إنا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ{٢٦} فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانا عَذَابَ السَّمُومِ{٢٧} سورة الطور .

قال إبراهيم التيمي ـ رحمه الله ـ :{ينبغي لمن لم يحزن أن يكون من أهل النار لأن أهل الجنة قالوا :{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِن رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ }فاطر:٣٤ ، وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف ألا يكون من أهل الجنة؛ لأنهم قالوا : {قَالُوا إنا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ }الطور:٢٦ .

فذكر النار أطار عليهم نومهم، وأقظَّ مضاجعهم ، وسلبهم راحتهم.

وقد كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثيراً ما يستعيذ من النار، وكان أكثر دعائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)[1] .

الصفة الخامسة {والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما}.

الاعتدال مطلوب في كل شيء ومن ذلك الاعتدال في أمر النفقة فلا إسراف: وهو مجاوزة الحد في النفقة، ولا إقتار: وهو التضييق والبخل على الأهل المؤدي إلى التقصير في حقهم، وعدم كفايتهم. وبين هذا وذاك درجة الاعتدال، وخير الأمور أوسطها، فلا إفراط ولا تفريط، كما قال تعالى : {وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً }الإسراء:٢٩ .

ومن فقه الرجل اقتصاده في معيشته ، والله ـ عز وجل ـ نهى في كتابه الكريم عن التبذير والإسراف فقال: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً }الإسراء:٢٦ .

والبخل على الأهل والأولاد طريق إلى الإثم فالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: (كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت) رواه أبو داود[1] .

---

[1] - أخرجه البخاري ـ : { ٦٣٨٩ } ، ومسلم : { ٢٦٩٠ } من حديث أنس بن مالك .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي رواية مسلم: (كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته)[2].

قال الحسن البصري: (ليس في النفقة في سبيل الله إسرافا).

وقال غيره : السرف النفقة في معصية الله . عز وجل ..

فلا إسراف في بذل الخير، والإمساك عنه هو الإقتار بعينه قال تعالى: {وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِن اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }البقرة:١٩٥ ، والهلكة :هي الإمساك عن الإنفاق.

السادسة: {والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر}:

ومن صفات عباد الرحمن البراءة من الشرك ، والبعد عن دعوة غيره وعبادته، فلازم عبادة الرحمن أن يوحد . تبارك وتعالى . ويُخلص له في العبادة، فلا يجوز صرفها لغيره، أو إشراك معه غيره فيها.

ودعوة غير الله تعالى من أعظم ما ارتكب ابن آدم من الآثام : {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِن الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } لقمان: ١٣.

وقال تعالى: {إِن اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً }النساء:٤٨ .

وفي حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه . في الصحيحين قال: (قلت يا رسول الله : أي الذنب أعظم؟ قال :أن تجعل لله نداً وهو خلقك)[3].

والشرك المخرج من ملة الإسلام ثلاثة أقسام:

١- شرك في الربوبية وهو أن يجعل لغير الله تعالى معه نصيباً من الملك ،أو التدبير ، أو الخلق ، أو الرزق الاستقلالي .كاعتقاد أن مع الله إلها آخر يخلق ويدبر ، ويرزق ، ويتصرف بالكون وهوما يعتقد ه بعضهم بالأغواث ، والأقطاب ، أو بالأولياء ، والأئمة.

٢- شرك في الألوهية: وهو اعتقاد أن غير الله يستحق أن يعبد ،أو صرف شيء من العبادة لغيره .كصلاة ، وصيام ، ورجاء ، وتوكل ، وذبح ، ونذر ، ودعاء وغيرها لغير الله تعالى ، واتخاذ

---

[1] - أخرجه أبو داود برقم :{ ١٦٩٢ } ، وهو في صحيح أبي داود للألباني برقم :(١٤٨٥).

[2] - أخرجه مسلم برقم :{ ٩٦٩ } .

[3] - أخرجه البخاري :{ ٧٥٢ } ، ومسلم : { ٨٦ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسطاء بين العبد وربه كما عند القبوريين :{ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } الزمر:٣.

٣- شرك في الأسماء والصفات وهو أن يجعل لله تعالى مماثلاً في شيء من الأسماء والصفات ، أويصفه تعالى بشيء من صفات خلقه . ومن ذلك وصف بعض المخلوقين بصفات الكمال التي يتصف الله بها ، كمن ينسب لمخلوق ادعاء علم الغيب، والإسباغ عليه بوصف القدرة المطلقة وغير ذلك.

السابعة :{ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق}:

مما جاءت به الشريعة الغراء حفظ الضروريات الخمس ومنها: النفس التي حرم الله إتلافها، وسفك دمها فإنه كبيرة من الكبائر، وعظيمة من العظائم . ولعظيم أمرها يخبرنا النبي . صلى الله عليه وسلم .(أن أول ما يقضي بين الناس في الدماء) رواه البخاري[١].

وقتل النفس التي حرم الله يشمل أموراً:

١- قتل النفس (الانتحار): قال تعالى { وَلاَ تَقْتُلُواْ أنفُسَكُمْ إن اللّهَ كان بِكُمْ رَحِيماً }النساء:٢٩ .

٢- قتل الغير من ولد أو غيره قال تعالى :{ {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِرَاء عَلَى اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كانواْ مُهْتَدِينَ }الأنعام:١٤٠ .

وقال تعالى :{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أنهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكأنمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكأنمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إن كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ }المائدة: ٣٢.

قال العلامة ابن عثيمين . رحمه الله . تعالى . : (القول المفيد: ٤٩٩/١) : "والنفس المحرمة أربعة أنفس، هي: نفس المؤمن، والذمي، والمعاهد، والمستأمن، بكسر الميم طالب الأمان".

وقوله: {إلا بالحق} كقتل النفس بالنفس وقتل الزاني المحصن، والمرتد عن دين الإسلام.

الثامنة : {ولا يزنون}:

الزنا فاحشة من الفواحش التي تنتهك العرض، وتخلط الأنساب، وفي كتاب الله : {وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً } الإسراء: ٣٢.

---

[١] - أخرجه البخاري :{ ٦٨٦٤ } ،ومسلم : { ١٦٧٨ } عن ابن مسعود . رضي الله عنه . .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي صحيح البخاري في حديث سمرة بن جندب الطويل قال : {فانطلقنا فأتينا على مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع فيه لغط وأصوات، قال: فاطلعنا فيه ، فإذا فيه رجال ونساء عراة فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا – أي صاحوا – ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الزناة والزواني}[1].

وشيوع الفاحشة في المجتمع سبب قطع الأواصر ، وفشوا الأمراض ، وقلة المال ، وضنك المعيشة.

وفي سنن ابن ماجة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: {لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا}[2].

فتأمل في هذا الحديث ينبيك عن سبب انتشار الإيدز ، والزهري ، والسيلان، وأنفلونزا الخنازير ، وأنفلونزا الطيور وغيرها من الأمراض التي أخافت العالم وأهلكته.

ثم ذكر الله ـ عز وجل ـ عاقبة الإصرار على هذه الذنوب فقال:{ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً{٦٨} يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً{٦٩} سورة الفرقان .

والوعيد بالخلود لمن فعلها كلها، أو أشرك بالله، قال تعالى : {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ }المائدة:٧٢.

وأما القاتل والزاني فلا يتناولهما الخلود في النار ما داما على التوحيد والإيمان.

قال السعدي {تيسير الكريم الرحمن ص: ٥٨٧}: " ونص تعالى على هذه الثلاثة لأنها أكبر الكبائر، فالشرك فيه فساد الأديان، والقتل فيه فساد الأبدان، والزنا فيه فساد الأعراض" أ.هـ.

واستثنى المولى ـ عز وجل ـ من هذا الوعيد التائبين إليه ، المنيبين بين يديه فقال: {إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكان اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً }الفرقان:٧٠ .

التاسعة: {ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متاباً}:

بعد ذكر الوعيد لمن وقع في تلك الذنوب يأتي باب الرجاء والبشارة لمن أقلع وتاب ، ورجع وأناب.

وأرشد المولى ـ عز وجل ـ عباده إلى طريق النجاة من الخلود في النار والعذاب في بئس القرار، وبين أن التوبة مسلك ذلك ، وطريقه الوحيدة.

---

[1] – تقدم تخريجه .

[2] – رواه ابن ماجه :(٤٠١٩) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم :(١٠٦) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والله يأمر في كتابه الكريم موجبا على عباده التوبة والرجوع إليه فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً } التحريم :٨. ورغب. عز وجل. بالتوبة فقال: { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } النور: ٣١.

وأخبرنا عن حبه للتائبين فقال: { إِن اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ }البقرة : ٢٢٢.

وقال تعالى :{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِن اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }الزمر:٥٣.

العاشرة: {والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً}:

الزور كل باطل زُور وزُخرف ، وأعظمه الشرك بالله تعالى ، وفي التنزيل كذلك :{ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ }الحج:٣٠ .

وفي الصحيحين عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه . أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . قال: {ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ، الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت}[1].

وشاهد الزور قد ارتكب عظائم عديدة ، وجرائم كثيرة، منها:

١- الكذب والافتراء قال تعالى: { إِن اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ }غافر:٢٨ .

٢- ظلم المشهود عليه في ماله ،أو عرضه ،أو روحه ، أودمه.

٣- أعان الظالم على ظلمه، وخذل المظلوم فلم ينصره.

٤- إن أخذ مقابل زوره مالاً فهو آكل لما حرم الله تعالى ، وماله سحت.

ومع هذه النصوص المحذرة، وبيان العواقب المدمرة لشاهد الزور إلا أنك ترى العجب العجاب في محاكم المسلمين من أناس نسوا الآخرة، وسوء الحساب لأهل هذه الصفات، فتراه يكذب ويفتري ويقسم الإيمان المغلظة أنه رأى وسمع وشهد وكله – كذب وزور- . بل والأعجب من ذلك – وإنها لإحدى الكبرى – وجود من يقف عند باب المحاكم يعرض نفسه ليشهد الزور مقابل دريهمات يشترطها.

[1] أخرجه البخاري :{ ٥٩٧٦ } ، ومسلم : { ٨٧ }

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أخرج الطحاوي في مشكل الآثار عن عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه . أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . قال: (أمر بعبد من عباد الله أن يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدة واحدة، فجلد جلدة واحدة، فامتلأ قبره عليه ناراً فلما ارتفع عنه أفاق. قال: على ما جلدتموني؟ قالوا: إنك صليت صلاة واحدة بغير طهور، ومررت على مظلوم فلم تنصره}[1].

فيا شاهد الزور ما بالك بمن نصر الظالم على المظلوم؟ .

وورد في تفسير الزور في هذه الآية أقوال كثيرة كلها تصب حول المنكرات والمعاصي من غناء ، وأعياد كفار وغيرها.. وجماع هذا كله أن الزور كما تقدم كله باطل وشر ، ولذلك وصف الله عباده المؤمنين بعدها فقال: { وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً }الفرقان:٧٢.

قال الحسن: اللغو المعاصي كلها. فنزهوا أنفسهم ، وأكرموها عن الخوض في الباطل.

قال القرطبي {تفسير: ٣٧٥/٧} :{كراماً} معناه معرضين منكرين لا يرضونه، ولا يمالئون عليه ، ولا يجالسون أهله أي مروا مر الكرام الذين لا يدخلون في الباطل} أ.هـ.

الحادية عشر: من صفات ساكني غرف الجنات: {والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً}:

وهذه أيضاً من صفات المؤمنين عباد الرحمن إحضار النفس والخشوع عند تلاوة القرآن والتأثر بآيات الله تعالى قال تعالى: {إِنمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ }الأنفال:٢ .

وقال تعالى: { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }الزمر:٢٣ ، وقال تعالى في وصفهم : { إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً }مريم:٥٨ .

فهذا وصف الله لعباد الرحمن مع كتابه القرآن وآياته الكرام ، يقابلونها بالقبول والافتقار إليها ، والانقياد والتسليم لها، وتجد عندهم آذاناً سامعةً، وقلوباً واعيةً، فيزداد بها إيمانهم، ويثبت بها يقينهم، وتُحدث لهم نشاطاً، ويفرحون بها سروراً واغتباطاً، فلم يقابلوها بالإعراض عن تدبرها، والصمم عن

[1] - أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار :{ ٤ / ٢٣١ } ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم : { ٢٧٧٤ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سماعها، وصرف النظر والقلوب عنها، كما يفعل من لم يؤمن بها ، ولم يصدق، قال تعالى : {وَإِذَا مَا أنزلت سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَانا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ }التوبة:١٢٤.١٢٥ .

الصفةالثانيةعشر: {والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً}:

إن صلاح الأولاد والزوجات مما يتمناه المؤمنون، ويبتهلون لربهم . تبارك وتعالى . ليرزقهم الذرية الصالحة.

قال ابن عباس: يعنون من يعمل بطاعة الله فتقر به أعينهم في الدنيا والآخرة.

وقال عكرمة: لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمال ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين.

وقال العلامة السعدي {ص٥٨٧} : "وإذا استقرأنا حالهم وصفاتهم، عرفنا من هممهم وعلو مراتبهم أنهم لا تقر أعينهم حتى يروهم مطيعين لربهم، عالمين عاملين، وهذا كما أنه دعاء لأزواجهم وذرياتهم في صلاحهم، فإنه دعاء لأنفسهم لأن نفعه يعود عليهم، ولهذا جعلوا ذلك هبة لهم، فقالوا :{هب لنا} بل دعاؤهم يعود إلى نفع عموم المسلمين لأن بصلاح من ذكره يكون سبباً لصلاح كثير ممن يتعلق بهم، وينتفع بهم". أ.هـ .

ودعوة الوالد لولده مستجابة فينبغي للوالد أن يوظفها في الخير، وألا يجعلها قذيفة على ولده يدمر بها حياته ومستقبله ، فيدعو عليه بما لا ينبغي من الشر والهلاك وبما تعود تبعاته على الأسرة بأكملها، وفي التوجيهات النبوية من خير البرية . صلى الله عليه وسلم . :(لا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على خدمكم ، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجاب لكم} رواه أبو داود عن جابر. رضي الله عنه. [1].

{واجعلنا للمتقين إماماً}:

إن علو الهمة بلغت عند هؤلاء العباد مبلغها بدعائهم الله . عز وجل . أن يوصلهم إلى درجة عالية، وهي درجة الصديقين ، والخلص من عباد الله الصالحين، وهي درجة الإمامة في الدين، وأن يكونوا قدوة للمتقين في أقوالهم وأفعالهم يقتدي بهم.

[1] - أخرجه أبو داود برقم : { ١٥٣٢ } ، وصححه الألباني في صحيح الجامع : { ٧٢٦٧ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكان ابن عمر . رضي الله عنهما . يقول في دعائه: "اللهم اجعلنا من أئمة المتقين". رواه مالك في موطئه[1].

قال العلامة ابن كثير . رحمه الله تعالى .: "فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم ،وأن يكون هداهم متعديا إلى غيرهم بالنفع وذلك أكثر ثواباً، وأحسن مآبا". أ.هـ.

قال إبراهيم النخعي: لم يطلبوا الرياسة بل بأن يكونوا قدوة في الدين.

ودرجة الإمامة في الدين لا تنال إلا بالصبر واليقين قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكانوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ }السجدة:٢٤ .

ولما كانت هممهم ومطالبهم عالية، كان الجزاء من جنس العمل، فجازاهم بالمنازل العاليات ،والدرجات الرفيعات ، والغرف الشامخات في جنة رب الأرض والسموات ؛ فقال تعالى : {أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً }الفرقان:٧٥ .

[1] - { ١ / ٢١٩ }

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أهل التقوى وغرفهم في جنة المأوى

قال تعالى :{ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنهارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ }الزمر: ٢٠.

إن التقوى زاد إلى الجنة، وفي كثير من آيات القرآن الكريم ذكر الله التقوى ، فأمر به وبين ثماره ، والطريق الموصل إليه ومن الآيات التي أمرت بالتقوى ، ورغبت فيه:

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً }الأحزاب:٧٠ .

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إن اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }الحشر:١٨ .

وقد جعل الله التقوى شرطا في حصول الإيمان فقال تعالى: { وَاتَّقُواْ اللّهَ إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }المائدة:٥٧ .

والتقوى وصية الله للأولين والآخرين قال تعالى: { وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ }النساء:١٣١ .

وجعل الله التقوى من خير ما يتزود به الإنسان فقال سبحانه: { وَتَزَوَّدُواْ فَإِن خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ }البقرة:١٩٧.

والميزان الشرعي الذي جعله الله بين عباده في تفاضلهم هو ميزان التقوى فقال تعالى:{ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إن اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }الحجرات: ١٣.

حقيقة التقوى:

قال ابن مسعود . رضي الله عنه . في معنى قوله تعالى :{اتقوا الله حق تقاته}: {أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر}[١].

وقال سهل التستري: من أراد أن تصح له التقوى فليترك الذنوب كلها.

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقوى

واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

[١] أخرجه الحاكم حديث : { ٣٠٩١ } ، وابن أبي شيبة في مصنفه :{ ٣٣٨٣ }.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأسباب الباعثة على التقوى:

لقد جاءت النصوص باعثة على التقوى وحاثة عليه، وهي كذلك لم تترك ذكر الأسباب الموصلة إليه ، والباعثة عليه ، ومن هذه الأسباب:

١- كثرة العبادة: قال تعالى : اعبدوا ربكم الذي خلقكم : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } البقرة: ٢١.

٢- التمسك بهذا الدين والجدية في التعامل مع شرع الله تعالى قال ـ عز وجل ـ : {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }البقرة:٦٣.

٣- تحكيم شريعة الله، وتطبيق حدوده، قال تعالى: { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }البقرة:١٧٩ .

٤- الصيام، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }البقرة:١٨٣.

٥- تعظيم شعائر الله قال تعالى : {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ }الحج:٣٢.

٦- العدل وإقامته في المجتمع والأفراد: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآن قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إن اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }المائدة:٨.

٧- التحلي بصفة العفو قال تعالى: { وأن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى } البقرة: ٢٣٧.

٨- توقير الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ،وتعظيمه وإجلاله قال تعالى : {إن الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ } الحجرات: ٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وغض الصوت عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشمله حياً وميتاً، ويكون بعد موته باحترام سنته ، وانتهاج طريقته ، وعدم مجاوزة هديه إلى غيره من زبالات الأذهان ، ونُخالات الأفكار، والمذاهب والآراء المنحرفة.

واعلم ـ أخي الكريم ـ أن جميع الطاعات سبب موصل إلى تقوى الله تعالى، وجميع المعاصي معوقات للحصول على التقوى، قال طلق بن حبيب : التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله.

ثمار التقوى:

جعل الله ـ تعالى ذكره ـ للتقوى ثمرات عديدة، وفوائد جليلة مزيدة . فمن ذلك:

١- البشرى بما يسر في الدنيا والآخرة، قال تعالى :{ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكانوا يَتَّقُونَ{٦٣} لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ{٦٤} . سورة يونس .

٢- تكفير الذنوب، وتعظيم أجر المتقين، قال تعالى: { وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً } الطلاق: ٥.

٣- تيسير أمر المتقين قال تعالى: { وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً }الطلاق:٤.

٤- تفريج الكروب ، والرزق الرغيد قال تعالى: { وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً{٢} وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ }الطلاق: ٢، ٣.

٥- حب الله للمتقين، قال تعالى: { إن اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ } التوبة: ٤.

٦- المتقون هم أهل الفلاح قال تعالى: { وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } البقرة: ١٨٩.

٧- الفوز بالجنة: {إن الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ }الحجر:٤٥ .

٨- النجاة من النار قال تعالى: {وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى } الليل: ١٧.

٩- المتقون هم أولياء الله قال تعالى: { وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ } الجاثية: ١٩.

١٠- وقال تعالى: {٦١} أَلا إن أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ{٦٢} الَّذِينَ آمَنُواْ وَكانوا يَتَّقُونَ{٦٣} سورة يونس.

نسأل الله أن يجعلنا من عباده المتقين، وأن يهدينا إلى طريق التقوى إنه سميع مجيب.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإيمان وعمل الصالحات سبيل إلى الأمن في غرف الجنات

قال تعالى: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ } سبأ: ٣٧.

إن للإيمان مع العمل الصالح منزلة عظيمة في شريعة المولى . عز وجل . ففيهما مضاعفة الجزاء، وتكثير الأجور، والأمن والأمان في غرف الجنان. والإيمان والعمل الصالح قرناء فلا إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان، فهما متلازمان تلازم الروح للجسد ومن مقتضيات الإيمان أن ينبثق من القلب في صورة العمل الصالح. قال الحسن البصري: "الإيمان كلام وحقيقته العمل، فإن لم يُحقق القول بالعمل لم ينفعه القول".

والنصوص في القرآن الكريم طافحة في بيان ملازمة الإيمان للعمل الصالح، وذكر فضلهما وإليك بعضاً منها:

١- **النعيم المقيم**

قال تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَن لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنهارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } البقرة: ٢٥.

ففي هذه الآية بشارة لمن آمن وعمل صالحاً بألوان من النعيم في جنات العزيز الكريم، يتقلب في جنباتها ويأكل من ثمارها في خلود أبدي، وبقاء سرمدي . قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }البقرة : ٨٢.

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنهارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً }النساء : ٥٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢- أمان في الدنيا والآخرة:

ومن كرم الله تعالى على أهل الإيمان ، والعمل الصالح أن وعدهم بالأمان في الدارين قال تعالى: {إِن الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }البقرة : ٢٧٧.

٣- المغفرة والأجر العظيم:

وعد الله أهل الإيمان والعمل الصالح بغفران ذنوبهم ، والتجاوز عن سيئاتهم، وزيادة على هذا الجزاء المضاعف فضلاً منه ورحمة من لدنه قال تعالى : {وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ }المائدة : ٩.

٤- الهداية وسلوك درب الحق:

يمن الله تعالى على أهل الإيمان والعمل الصالح، بسبب ما قدموه بالهداية في دار الدنيا إلى الصراط المستقيم وفي الصراط المستقيم، وفي الآخرة إلى الصراط الموصل إلى جنات النعيم. قال تعالى: {إِن الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأنهارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }يونس:١٠ .٩.

٥- سيجعل لهم الرحمن وُداً:

وأهل الإيمان والعمل الصالح هم من يجعل الله تعالى لهم المحبة والمودة في قلوب عباده المؤمنين بل وتتجاوز هذه المحبة إلى ملائكة الله الأبرار بحب عباده المخلصين الصادقين، قال تعالى: {إِن الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً }مريم : ٩٦.

٦- الرزق الكريم:

إن الله هو الرزاق وبيده مقاليد السموات والأرض وخزائنها، فلما صدقه أهل الإيمان وأخلصوا له في أعمالهم وعدهم بالرزق الحسن الكريم ؛ قال تعالى : {فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ }الحج : ٥٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٧- **التمكين في الأرض:**

للتمكين شروطه التي يجب على المسلمين أن يوفوا بها، وما أحوجنا في هذا الزمان أن نقوم بها، وننهض لتطبيقها، فلن يأتي النصر ، ولن يكون الاستخلاف بالقعود عن القيام بالأسباب. قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }النور: ٥٥.

٨- **يبدل الله سيئاتهم حسنات:**

من لاذ بالله حماه، ومن تاب إليه أكرمه وأعطاه ، ومن عمل صالحا أثابه وجزاه. وهذا من فيض عطاء الله وعظيم مغفرته، ثم ما أعظمه . جل وعلا . أن يتكرم بجوده وإحسانه لأن يبدل سيئات المؤمنين التائبين العاملين إلى حسنات . قال تعالى: {إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكان اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً }الفرقان : ٧٠.

فاللهم ارزقنا حقيقة الإيمان ، واجعلنا من عبادك الصالحين.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مساكن في جنة المعاد ، لمن آمن بالله ورسوله وأقام الجهاد

قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ{١٠} تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ{١١} يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنهارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }سورة الصف .

لا يخفى على المسلم أهمية الإيمان، وعظم شأنه، وكثرة عوائده، وتعدد فوائده، على أهله وذويه، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على تحقق الإيمان الصحيح، فهو أجل المطالب، وأهم المقاصد والرغائب، وأنبل الأهداف، وبالإيمان يحيا العبد حياة طيبة سعيدة، وينجو من المكاره والشرور والشدائد، وينال ثواب الآخرة ونعيمها المقيم ، وخيرها الدائم المستمر الذي لا يحول ولا يزول.

قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كانواْ يَعْمَلُونَ }النحل: ٩٧. وقال تعالى: {وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كان سَعْيُهُم مَّشْكُوراً }الإسراء: ١٩.

وقد دلت نصوص القرآن والسنة على أن الإيمان يقوم على أصول ستة: وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، فلا إيمان لأحد إلا بالإيمان بها، وهي أصول مترابطة متلازمة، لا ينفك بعضها عن بعض، فالإيمان ببعضها مستلزم الإيمان ببقيتها والكفر ببعضها كفر ببقيتها كذلك ، وإليك تفاصيلها ، وشيئاً من فقهها.

١- **الإيمان بالله تعالى:**

الإيمان بالله : بربوبيته ، وألوهيته ، وأسمائه وصفاته هو الركن الأساسي الذي تبنى عليه بقية الأركان. والإيمان بالله أن تؤمن بربوبيته تعالى، وأنه الرب الخالق المالك المدبر لجميع الأمور.

قال تعالى: { أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } الأعراف :٥١.

وتؤمن بإلوهية الله تعالى ، وأنه الإله الحق وكل معبود سواه باطل، قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ }لقمان: ٣٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتؤمن بأسمائه وصفاته، وأنه له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى من غير تكييف ، ولا تمثيل ، ولا تعطيل ، ولا تأويل قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ }الشورى:١١ .

فتؤمن بوحدانيته في ربوبيته ، وألوهيته ، وأسمائه وصفاته . قال تعالى: { رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً }مريم:٦٥ .

ومن الإيمان بالله أن تؤمن بأنه لا تأخذه سنة ولا نوم وأنه عالم الغيب والشهادة، وتؤمن بأنه تعالى على عرشه عال على خلقه، يعلم أحوالهم ، ويسمع أقوالهم ، ويرى مكانهم، ويدير أمورهم، يرزق الفقير، ويجبر الكسير، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، وهو على كل شيء قدير، ومن الإيمان بالله الصبر على أقداره ، ومن الإيمان بالله الإيمان بما أوجبه على عباده وفرضه عليهم.

من ثمرات الإيمان بالله تعالى:

١- الإيمان بالله يثمر للعبد محبة الله ، وتعظيمه ، الموجبين للقيام بأمره ، واجتناب نهيه، وإذا قام العبد بذلك نال بهما كمال السعادة في الدنيا والآخرة.

٢- الإيمان بالله يُنشئ في النفس الأنفة والعزة، لأنه يعلم أن الله هو المالك الحقيقي لكل ما في هذا الكون، وأنه لا نافع ولا ضار إلا هو، وهذا العلم يغنيه عن غير الله، وينزع من قلبه خوف سواه، فلا يرجو إلا الله ولا يخاف سواه.

٣- الإيمان بالله يُنشئ في نفسه التواضع، لأنه يعلم أن ما به من نعمة فمن الله، فلا يغره الشيطان ، ولا يبطر، ولا يتكبر، ولا يزهو بقوته وماله.

٤- إن الإيمان بالله يربي في الإنسان قوة عظيمة من العزم والإقدام ، والصبر والثبات والتوكل حينما يضطلع بمعالي الأمور في الدنيا ابتغاء مرضاة الله، ويكون على يقين تام أنه متوكل على ملك السموات والأرض ، وأنه يؤيده ويأخذ بيده، فيكون راسخاً رسوخ الجبال في صبره وثباته وتوكله.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإيمان بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

من مقتضيات الإيمان بالله : الإيمان برسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفي هذا يقول تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }آل عمران:٣١ .

فجعل المولى ـ عز وجل ـ اتباع رسوله والإيمان به طريقاً لمحبته ، وغفران الذنوب والمعاصي.

وجعل الله ـ عز وجل ـ في هذه الآية طاعة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هي عين طاعته تعالى قال تعالى: {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ }النساء:٨٠ . وجاء في تفسير الآية : أن أقواماً من اليهود ، والنصارى ، وكفار قريش زعموا أنهم يحبون الله تعالى فأنزل الله هذه الآية اختباراً لهم، والله ـ عز وجل ـ يأمر عباده المؤمنين بالإيمان برسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال تعالى: { آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ }الحديد:٧ .

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً }النساء : ١٣٦.

وجعل اتباع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والإيمان به طريقاً للهداية فقال تعالى: { فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }الأعراف : ١٥٨.

ومن الصادقين المذكورين في كتاب الله الذين آمنوا برسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال تعالى: {إِنمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } الحجرات: ١٥.

وقال تعالى: { فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }التغابن:٨ .

وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }الحديد: ٢٨.

فالإيمان بالله ورسوله، طريق لكل خير ، وهو نور للمسلم في ظلمات الحياة وتخبطاتها.

ومن الإيمان بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تصديقه فيما أخبر عن الأمم السابقة ، وفيما سيأتي من أمور لاحقة، فهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى قال تعالى: {مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى{٣} إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى{٤} . سورة النجم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن الإيمان بالرسول طاعته فيما أمر ، واجتناب ما عنه نهى وزجر ، فطاعته من طاعة الله فريضة قال تعالى { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إن اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }الحشر:٧ .

والإيمان بالرسول . صلى الله عليه وسلم . هو طريق إلى الجنة، فلن يدخل عبد الجنة إلا بالإيمان به وتصديقه . صلى الله عليه وسلم . وطاعته ، فعن أبي هريرة . رضي الله عنه ـ قال: إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . قال: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله؟ ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) رواه البخاري[١] .

وقد أقسم النبي . صلى الله عليه وسلم . على دخول النار لكل من لم يؤمن به ممن سمع وعلم به ،. صلى الله عليه وسلم . ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم ـ قال: {والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار} .[٢]

فاللهم إنا نسألك إيمانا صادقا ، وعملاً متقبلاً .

- **الجهاد في سبيل الله تعالى:**

الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، ورتبته في أعلى شعب الإيمان . به تعلو الكلمة، وتعز الأمة، وتُحمى البيضة[٣] وتصان الحرمات، وتحمى الديار ، ويقهر الأعداء .

بالجهاد يتم إقرار الحق في نصابه، ويُرد البغي والظلم والطغيان، ويُكافح الشر والكيد والعدوان، الجهاد في سبيل الله هو التجارة المنجية ، والصفقة الرابحة، والبضاعة المبشرة، ويحوز أهله المخلصون من المنازل أرفعها ، ومن المكانة أعظمها، ومن الدرجات أعلاها، فهم الأعلون في الدنيا والآخرة، ولقد حظيت فريضة الجهاد في هذا الدين بالعناية والاهتمام ، فعشرات الآيات الكريمة ، ومئات الأحاديث الصحيحة الشريفة كلها تحث على الجهاد، وتُرغب فيه، وتبيّن ما لأهله من الأجر والمثوبة في الآخرة، والعزة والنصر في الدنيا . كما باء بالوعيد الشديد على من ركنوا إلى الدنيا، واثاقلوا إلى الأرض، وعطلوا

---

[١] - أخرجه البخاري : (٧٢٨٠).

[٢] - أخرجه مسلم : (١٥٣).

[٣] - البيضة : مجتمع القوم وموضع سلطانهم النهاية البيض .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه الفريضة ففي سنن أبي داود عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (من لم يغزُ، أو يجهز غازياً، أو يخلف غازيا في أهله بخير، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة)[1].

وفي مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (من مات ولم يغزُ، ولم يحدث نفسه بالغزو، مات على شعبة من نفاق)[2].

وما ذلكم إلا لما يسببه ترك هذه الفريضة من تسلط الأعداء، وتحكمهم في الأمة، يقتلون أبناءها، ويرملون نساءها، ويتمون أطفالها، ويحتلون ديارها، ويستبيحون حرماتها، ويعبثون بمقدساتها ومقدراتها، ولا يعرفون فيها إلا[3] ولا ذمة[4]، ولا يرعون عهداً ولا حرمة، فيعم الذل، وتسود المهانة، والله ـ عزوجل ـ يقول: { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ }المنافقون:٨ .

ومن تعظيم مكانة الجهاد في هذا الدين، ومكانة أهله، وعلو مكانتهم في الدنيا والآخرة، أن الله قد أعد للمجاهدين في سبيله الدرجات العُلا من الجنة، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: {إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض}[5].

ولن يرتفع الذل عن هذه الأمة إلا برفع راية الجهاد في سبيل الله فما عزت الأمة، وسادت في كل قرونها وأعصارها إلا برفع راية الجهاد في سبيل الله، ولا ذلت وضعفت مكانتها، وانتهكت حرماتها إلا لما ضيعت فريضة الجهاد وتركت في سبيل الله واجب الاستشهاد، وإذا رفعت الأمة علم الجهاد، فلن يبقى للظلم مكان في البلاد، ولا بين العباد[6].

وكما أن الجهاد يكون بالنفس فكذلك هو بالمال كما دلت عليه هذه الآية. الصف:١١.

وفي سنن أبي داود عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (جاهدوا المشركين بأموالكم، وأنفسكم، وألسنتكم)[7].

---

[1] – رواه أبو داود : (٢٥٠٣)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود برقم :(٢٢٦١).

[2] – أخرجه مسلم : (١٩١٠).

[3] – الإل : القرابة .

[4] – الذمة : العهد .

[5] – أخرجه البخاري : (٧٤٢٣) .

[6] – انظر : (كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة) عبد الرحمن السد يس ص : ٢٨٦ ـ ٢٩٥

[7] – أخرجه أبو داود في سننه : (٢٥٠٤) وصححه الألباني في صحيح أبي داود:(٢٢٦٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيجب على المسلم أن يكون مجاهداً في سبيل الله، مستفرغاً الطاقة لإعلاء كلمة الله . عز وجل . بالقلم واللسان، بالسيف والسنان ، بالقلب والجنان . بل بكل المشاعر والأحاسيس، يجب على المسلم أن يكون مجاهداً في سبيل الله بنفسه ، وماله ، ولسانه ، وقلبه ، وجنانه.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ }التحريم: ٩.

وقال تعالى: {فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً }الفرقان: ٥٢، وقال تعالى :{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ } الحج: ٧٨.

مراتب الجهاد:

أولها: جهاد النفس على العلم النافع، والعمل الصالح، وهو نقطة البداية لجهاد الأعداء.

ثانيها: جهاد الشيطان على دفع ما يُلقي من الشهوات والشبهات.

ثالثها: جهاد الكفار.

رابعها: جهاد المنافقين ، وأرباب الظلم ، والبدع ، والمنكرات[1].

[1] - زاد المعاد : (٣ / ١٠٠٩) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من بني لله بيتاً في الدنيا له مثله في الأخرى.

عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: {من بنى مسجدا ـ قال بكير حسبت أنه قال: يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة} رواه البخاري ومسلم.[1]

لقد عظم الله ـ عز وجل ـ شأن المساجد، ورفع منزلتها ودرجتها ، فهي المكان الذي جعله الله مهبط رحمته ، ومنزل ملائكته.

والمساجد أحب البقاع إلى الله تعالى، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها) رواه مسلم[2].

والسعي إلى المساجد سعي إلى رفع الدرجات ، وتكفير الخطايا والسيئات ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال: إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطأ إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط)[3].

والمشاؤون إلى المساجد في ظلم الليل وغسق الظلام ـ بشرهم النبي ـ صلى الله عيه وسلم ـ فقال: (بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجة[4].

وقد أمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ببناء المساجد ، وتنظيفها ، وتطييبها ، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: (أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :أن تُتخذ المساجد في الدور ، وأن تُتطهر وتطيب) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجة.[5]

والدور قال ابن حزم: هي المحلات والأرياض ، دار بني عبد الأشهل ، ودار بني النجار تريد محلة كل طائفة منهم).

---

[1] - أخرجه البخاري : (٤٥٠) ، ومسلم : (٥٣٣) .

[2] - أخرجه مسلم : (٦٧١) .

[3] - أخرجه مسلم : (٢٥١) .

[4] - أخرجه الترمذي : (٢٣١) ، وأبو داود : (٥٦١)كلاهما من حديث يزيد ، الأسلمي ، ورواه ابن ماجة :(٧٨١) من حديث أنس بن مالك ..رضي الله عنه. ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب : (٣١٥)

[5] - أخرجه الترمذي : (٥٩٤) ، وأبو داود : (٤٥٥) ، و ابن ماجة : (٥٩٤) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب : (٢٧٩) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال العلامة الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ {الثمر المستطاب} ١/٤٤٧: {ويجب بناء المساجد في كل قرية أو محلة لا مساجد فيها وهم بحاجة إليها، فقد أمر ـ صلى الله عليه وسلم ـ ببناء المساجد في الدور، يعني في المحال التي فيها الدور}. أ.هـ.

من خرج إلى المسجد كان في ضمان الله تعالى، وأعد له نزلا في جنة المأوى، ونال أجر الحاج المحرم.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :{من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلا في الجنة كلما غدا أو راح} رواه البخاري ومسلم[١].

وعن أبي أمامه ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: {ثلاثة كلهم ضامن على الله: رجل خرج غازيا في سبيل الله فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة، أو يرده بما نال من أجر أو غنيمة، ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة ، أو يرده بما نال من أجر، ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله} رواه أبو داود[٢].

وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (من خرج من بيته متطهرا إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى تسبيح الضحى، لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين) رواه أبو داود.[٣]

وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله : (ورجل قلبه معلق بالمسجد)، ما أن يخرج منه إلا ويهفو فؤاده إليه، كسمكة خرجت من الماء ، أو طائر ترك عشه، فلا يرى راحتة، ولا تطمئن حياته إلا في ظل المسجد، وتحت سقفه الدافئ أحب بيت الله لحب الله لها.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) متفق عليه[٤].

---

[١] - أخرجه البخاري :(٦٦٢) ، ومسلم : (٦٦٩) .

[٢] - أخرجه أبو داود : (٢٤٩٤) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع : (٣٠٤٨) .

[٣] - أخرجه أبو داود : (٥٥٨) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٢٨) .

[٤] - أخرجه البخاري : (٦٦٠) ، ومسلم :(١٠٣١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمسجد بيت للمؤمن، يسكن إليه قلبه، ويطمئن إليه فؤاده ولبه، فهو مسكن قلبه وراحته، وفي حديث سلمان أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: {المسجد بيت كل مؤمن} رواه أبو نعيم[1].

وقد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ متعلقا قلبه بالمسجد ومن ذلك أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (كان إذا صلى الغداة جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس) رواه مسلم[2].

وبناء المساجد صدقة جارية يجري للعبد أجرها بعد موته فتذهب دنياه بما فيها، ويبقى رفيقه في آخرته ما قدمه بين يديه من خير أو شر، ومن الخير الذي يُدّر خيره، وتدوم حسناته وأجره ، بناء المساجد وتشييدها لوجه الله تعالى.

فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسم ـ :{سبع يجري للعبد أجرهن، وهو في قبره بعد موته: من علَّم علماً أو أجرى نهراً، أو حفر بئراً أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ورث مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته} رواه أبو داود في كتابه {المصاحف} وأبو نعيم في الحلية[3].

فضل الجماعة في المسجد:

عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :{من صلى العشاء في جماعة، فكأنما قام نصف ليلة، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله} رواه مسلم[4].

وعند الترمذي عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: {من صلى لله أربعين يوما في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان : براءة من النار ، وبراءة من النفاق}[5].

---

[1] - أخرجه أبو نعيم في الحلية : (٨٤٣٤) ، وصححه الألباني صحيح الجامع :(٦٥٧٨) .

[2] - أخرجه مسلم : (٦٧٠) .

[3] - أخرجه أبو داود في كتاب (المصاحف) : (٧٠٠) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء : (٢٧٠٦) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم :(٣٦٠٢).

[4] - أخرجه مسلم : (٦٥٦) .

[5] - أخرجه الترمذي (٢٤١)، وصححه الألباني في سلسلته الصحيحة:(١٩٨٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجوب الجماعة في المسجد وإتيانها إلا من عذر:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: أتى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجل أعمى ، فقال يا رسول الله : إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يرخص له فيصلي في بيته فرخص له، فلما ولى دعاه، فقال: {هل تسمع النداء بالصلاة، فقال: نعم، قال: فأجب} . رواه مسلم[1].

أين نحن من هؤلاء؟

ذكر الهيثمي في {مجمع الزوائد} ٤١/٢ بإسناد حسن " أن الصحابي الجليل الحارث بن حسان تزوج في ليلة من الليالي فحضر صلاة الفجر مع الجماعة فقيل له : أتخرج وإنما بنيت بأهلك في هذه الليلة؟ فقال: والله إن امرأة تمنعني من صلاة الغداة في جمع لامرأة سوء".

وكان أبو عبد الرحمن السلمي يُحمل وهو مريض إلى المسجد[2].

وقال ابن جريج: {كان المسجد فراش عطاء عشرين سنة، وكان من أحسن الناس صلاة}[3].

ومنهم من مات وهو في المسجد منهم حماد بن سلمه ـ رحمه الله ـ قال عنه يونس المؤدب: مات حماد بن سلمه في الصلاة في المسجد[4].

وقال حاتم الأصم: " فأتتني الصلاة في الجماعة ، فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا "[5].

قال تعالى: { فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ{٣٦} رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ{٣٧} لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ{٣٨ } النور: ٣٦- ٣٨.

---

[1] - أخرجه مسلم : (٦٥٣).

[2] المصنف لأبن أبي شيبة : (١ / ٣٥٠).

[3] سير أعلام النبلاء : (٥ / ٨٤).

[4] سير أعلام النبلاء : (٧ / ٤٤٤).

[5] الإحياء : (١ / ١٧٧).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كلمات من نور:

المساجد بمآذنها السامقة رمزاً لعلو هامة المسلم ، وشموخه على الزمان والمكان.

هي المهابط لرحمة الله ورضوانه على ظهر هذا الكوكب الذي نتنت أجواؤه بخطايا البشرية.

المساجد تشهد تربتها كل يوم خمس مرات الجباه الساجدة الضارعة لبارئها، والأصلاب الراكعة المنحنية على التسبيح لخالقها . عز وجل . .

يخلع الإنسان أرسانه على أبوابها، ويجد السكينة والطمأنينة بين رحابها.

المسجد هو تصحيح للعالم الذي يموج من حوله ويضطرب.

من هذه المساجد ينطلق نشيد السماء العلوي المقدس {الله أكبر} نداء المساجد من فوق هامات المآذن حين تصبح، وحين تظهر، وحين تمسي.

هنا في المسجد يتلقى القلب الآيات والعظات كقلب الشجرة يتناول الماء ويكسوها منه[1].

[1] انظر كتاب(ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله) للدكتور العفاني :(٢ ، ٣ / ٣٢٥) المجلد الأول .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولسورة الإخلاص دورٌ في بناء الأساس

عن معاذ بن أنس الجهني ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: {من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات، بنى الله له قصراً في الجنة} رواه أحمد[1].

هذه السورة المباركة أخلصت لذكر أوصاف الرحمن ، ونعوت كماله وجلاله، ولم يصح في فضل سورة ما صح في فضلها . وفي هذه السورة إثبات أحديته، وصمديته، فهو أحد لا كفء له ، وصمد لا ولد ولا والد له. وسورة الإخلاص سورة مكية.

سبب نزولها:

عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ أن المشركين قالوا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :{انسب لنا ربك فأنزل الله { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ{١} اللَّهُ الصَّمَدُ{٢} } والصمد الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت ولا شيء يموت إلا سيورث ، وإن الله ـ عز وجل ـ لا يموت ولا يورث. {ولم يكن له كفواً أحد} قال :لم يكن له شبيه ، ولا عدل ، وليس كمثله شيء} رواه الترمذي[2].

تفسيرها:

يقول الله تعالى في هذه السورة { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ، ولا وزير ولا نديد ، ولا شبيه ولا عديل. قال العلامة ابن كثير: {التفسير ٤/٦٠٩}: "ولا يُطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله – عز وجل – لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله" أ.هـ.

فيجب أن يعلم هؤلاء المشركون أن الله ـ عز وجل ـ واحد لا شريك له في الكون، ولا إله غيره، ولا معبود سواه فـ {لَوْ كان فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ }الأنبياء: ٢٢ ، ولا خالق إلا هو ، ولا رب سواه[3].

---

[1] - أخرجه أحمد :(١٥٣٠٩) ، وصححه الألباني في الصحيحة :(٥٨٩).

[2] -أخرجه الترمذي : (٣٣٠٤) ، وقال الألباني : حسن دون قوله : (والصمد الذي ...) ظلال الجنة : (٦٦٣).

[3] - قال القرطبي (التفسير (١٠ / ٦٠٧) : (وأصل ((أحد)) وحدُ قلبت الواو همزة ، ومنه قول النابغة : بذي الجليل على مستأنس وحد)أ..هـ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

{ اللَّهُ الصَّمَدُ }: أي الذي تصمد إليه الحاجات، كما قال ـ عز وجل ـ : {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ }النحل: ٥٣، وهذا تفسير ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ .

وقال علي ـ رضي الله عنه ـ الصمد: هو السيد الذي قد انتهى سؤدده في أنواع الشرف والسؤدد.

وقال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: هو المستغني عن كل أحد، المحتاج إليه كل أحد.

وقال الحسن وعكرمة والضحاك وابن جبير: الصمد: المصمت الذي لا جوف له.

ورجح الإمام القرطبي القول الأول كما في تفسيره {١٠/ ٦٠٨}.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ {التفسير ٤/٦١٠}: {وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة له بعد إيراده كثيراً من هذه الأقوال في تفسير الصمد، وكل هذه صحيحة وهي صفات ربنا ـ عز وجل ـ هو الذي يصمد إليه في الحوائج ، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه، وقال البيهقي نحو ذلك} . أ.هـ.

{ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ } :أي ليس له ولد ، ولا والد ، ولا صاحبة.

قال ابن عباس {لم يلد} كما ولدت مريم، {ولم يولد} كما وُلد عيسى وعزير.

وفي هذه الآية رد على اليهود والنصارى الذين نسبوا إلى الله الولد فقالت اليهود: (عُزيرٌ ابن الله)، وقالت النصارى :(المسيح ابن الله) تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً :{ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً{٨٨} لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً{٨٩} تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً{٩٠} أن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً{٩١} وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أن يَتَّخِذَ وَلَداً{٩٢} إن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً{٩٣} لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً{٩٤} وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً{٩٥ } . مريم : ٨٨- ٩٤.

وفيها رد على كفار قريش الذين قالوا :إن الملائكة بنات الله . قال ـ عز وجل ـ : { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سبحانه بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ{٢٦} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ{٢٧} . الأنبياء: ٢٦- ٢٧.

{ لَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ }: أي لم يكن له قريب ، ولا نسيب ، ولا صهر، ولم يكن له شبيه ، ولا مثيل ، ولا نظير ، ولا كفؤاً، فلا يكافئه أحد ـ سبحانه وتعالى ـ}[1].

[1] - انظر تفسير القرطبي :(١٠ / ٦٠٧،٦٠٩) ، وتفسير ابن كثير : (٤ / ٦٠٩ ـ ٦١٠) ، وتفسير الربانيين لعموم المؤمنين (تفسير جزء عم) لشيخنا المحدث مصطفى العدوي ـ حفظه الله ـ (٣٠٦ ـ ٣٠٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأحاديث الواردة في فضل سورة الإخلاص:

تقدم معنا بيان أنه لم يصح في فضل سورة ما صح في فضل هذه السورة المباركة الكريمة ، وفي سنة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عدد من الأحاديث التي تبين بجلاء، وتذكر بوضوح فضائل سورة الإخلاص ، فدعني أحلق بسويداء قلبك ، وخطرات فكرك إلى هذه الواحة الغناء في سنة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خير الأنبياء.

{قل هو الله أحد} تعدل ثلث القرآن:

ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } يرددها فلما أصبح، جاء إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فذكر له ذلك فكأن الرجل يتقالها، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :(والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن)[1].

وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن، قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن، قال: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } تعدل ثلث القرآن)[2].

وفي رواية لمسلم : (إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } جزءاً من أجزاء القرآن).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: {احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، فقرأ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } ثم دخل، فقال: بعضنا لبعض إني أرى هذا خبراً جاءه من السماء فذلك الذي أدخله ، ثم خرج نبي الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا إنها تعدل ثلث القرآن}.

قال الإمام القرطبي {التفسير: ٦٠٩/١٠}: {قال بعض العلماء: إنها تعدل ثلث القرآن لأجل هذا الاسم، الذي هو {الصمد} فإنه لا يوجد في غيرها من السور ، وكذلك {أحد} وقيل :إن القرآن أنزل أثلاثاً، ثلثا منه أحكام ، وثلثا منه وعد ووعيد، وثلثاً منه أسماء وصفات، وقد جمعت { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } أحد الأثلاث : وهو الأسماء والصفات ، ودل على هذا التأويل ما في صحيح مسلم من حديث أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: {إن الله ـ عز وجل ـ جزأ القرآن أجزاءً، فجعل { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } جزءاً من أجزاء القرآن} وهذا نص، وبهذا المعنى سميت سورة الإخلاص، والله أعلم.

---

[1] - أخرجه البخاري : (٧٣٧٥) ، ومسلم : (٨١٣) .

[2] - أخرجه مسلم : (٨١١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في تفسير جزء عم :{٣٥٥} : "لكنها تعدله ولا تقوم مقامه فهي تعدل ثلث القرآن لكن لا تقوم مقام ثلث القرآن بدليل أن الإنسان لو كررها في الصلاة الفريضة ثلاث مرات لم تكفه عن الفاتحة مع أنه قرأها ثلاثاً ".

أخبروه أن الله يحبه:

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: (إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته ، فيختم ب{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك، فسألوه ـ فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخبروه أن الله يحبه)[١].

موجبة الجنة:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: أقبلتُ مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسمع رجلاً يقرأ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ } ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: {وجبت} . قلت: وما وجبت ؟، قال: {الجنة} رواه الترمذي[٢].

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: (كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء فكان كلما افتتح سورة يقرأ لهم في الصلاة ، فقرأ بها افتتح ب{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } حتى يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه فقالوا: إنك تقرأ بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ سورة أخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ سورة أخرى، قال: ما أنا بتاركها إن أحببتم أن أؤمكم بها فعلت، وإن كرهتم تركتكم . وكانوا يرونه أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخبروه الخبر، فقال: يا فلان ما يمنعك مما يأمر به أصحابك ، وما يحملك أن تقرأ هذه السورة في كل ركعة ؟، فقال: يا رسول الله إني أحبها، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إن حبها أدخلك الجنة) . رواه الترمذي[٣].

قال العلامة أبو بكر بن العربي المالكي {أحكام القرآن: ٤/ ٤٢٣}: {فكان هذا دليلاً على أنه يجوز تكرار سورة في كل ركعة} ثم قال: {وليس من السنة ختم القرآن في رمضان}.

---

[١] - أخرجه البخاري : (٧٣٧٥) ، ومسلم (٨١٣) ..

[٢] - أخرجه الترمذي : (٢٨٩٧) ، وصححه الألباني في التعليق الرغيب :(٢ / ٢٢٤).

[٣] - أخرجه الترمذي : (٢٩٠١) ، وصححه الألباني في صفة الصلاة : (٨٥) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال القرطبي: {تفسيره ١٠/٦١٠}: {قلت: هذا نص قول مالك، وقال مالك: وليس ختم القرآن في المساجد بسنة}.

المواطن التي تقرأ فيها سورة الإخلاص:

لفضل هذه السورة وعظيم منزلتها، فقد شرع للمسلم قراءتها في مواطن عدة ومنها:

١ . الصلوات التي كان النبي . صلى الله عليه وسلم . يقرأ فيها بسورة الإخلاص:

كان . صلى الله عليه وسلم . يقرأ بها في الركعة الثانية في سنة الفجر، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . قرأ في ركعتي الفجر :{قل يا أيها الكافرون} ، و:{قل هو الله أحد}[١].

وكان يقرأها . صلى الله عليه وسلم . في سنة المغرب ففي سنن الترمذي عن عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه ـ أنه قال: {ما أحصي ما سمعت من رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يقرأ في الركعتين بعد المغرب ، وفي الركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد}[٢].

وفي ركعتي الطواف كذلك كان يقرأ هاتين السورتين.

ففي حديث جابر بن عبد الله . رضي الله عنهما . الطويل في صفة حجه . صلى الله عليه وسلم . :{كان يقرأ . صلى الله عليه وسلم . في الركعتين :{قل هو الله أحد} ، و{قل يا أيها الكافرون} رواه مسلم[٣] والمراد بالركعتين : في الطواف.

وفي الوتر كان يقرأها . صلى الله عليه وسلم . فعن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما . قال:(كان النبي . صلى الله عليه وسلم . يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد في ركعة ركعة} رواه الترمذي[٤].

---

[١] - أخرجه مسلم :(٧٢٦) .

[٢] - أخرجه الترمذي : (٤٣١) والحديث حسن انظر المشكاة :(٨٥١) .

[٣] - أخرجه مسلم : (١٢١٨) .

[٤] - رواه الترمذي برقم : (٤٦٢) ، وصححه الألباني في أصل صفة الصلاة :(٨٥) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢ . الأذكار التي كان النبي . صلى الله عليه وسلم . يقرأ فيها سورة الإخلاص:

أ . بعد الصلاة المفروضة:

عن عقبة بن عامر . رضي الله عنه . قال: (أمرني رسول الله . صلى الله عليه وسلم . أن أقرأ المعوذات في دبر كل صلاة) رواه أبو داود والنسائي[١] . والمعوذات هي: قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس، وقل هو الله أحد .

ب- في أذكار الصباح والمساء:

عن عبد الله بن خبيب قال: خرجنا في ليلة ماطرة ، وظلمة شديدة نطلب رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ليصلي لنا، فأدركناه فقال: {قل} فلم أقل شيئا، ثم قال: {قل} فلم أقل شيئا، ثم قال: {قل} فقلت: ما أقول يا رسول الله. قال: {قل هو الله أحد} والمعوذتين حين تمسي ، وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء} رواه الترمذي وأبو داود[٢] .

ج- في أذكار النوم:

عن عائشة . رضي الله عنهما . أن النبي . صلى الله عليه وسلم . كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ: {قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس} ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات} رواه البخاري.[٣]

د- في الرقية الشرعية:

عن عائشة . رضي الله عنها . قالت: كان رسول الله . صلى الله عليه وسلم . إذا مرض أحد من أهله، نفث عليه بالمعوذات ، فلما مرض مرضه الذي مات فيه، جعلت أنفث عليه ، وأمسحه بيد نفسه، لأنها كانت أعظم بركة من يدي} رواه البخاري ومسلم[٤] .

---

[١] - أخرجه أبو داود : (١٥٢٣)، والنسائي : (١٣٣٦) ، وهو في صحيح أبي داود : (١٣٦٣) .

[٢] - أخرجه الترمذي (٣٥٧٥) ، وأبو داود (٥٠٨٢) .انظر صحيح الكلم الطيب ص: (١٩) .

[٣] - أخرجه البخاري : (٥٠١٧).

[٤] - أخرجه البخاري : (٥٠١٦) ، ومسلم : (٢١٩٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السنن الرواتب وبناء بيت في الجنة لكل راغب

عن أم حبيبة ـ رضي الله عنها ـ قالت: أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة). رواه مسلم[1].

لقد جعل الله النوافل مكملات للفرائض، فالفرائض هي أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله، وأجر الفريضة أعظم من أجر النافلة، والواجبات أحب إلى الله من النوافل، وينبغي أن يعرف المسلم ذلك ليعرف أولوياته فيقدم الأهم[2] وفي حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه) رواه البخاري[3].

النوافل سبب لمحبة الله للعبد:

وفي تتمة الحديث بيان لحب الله تعالى، وتوفيقه لمن قام بالنوافل :(وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه).

النوافل تسد خلل التقصير في الواجبات:

أخبر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن وقوع المسلم في التقصير في الصلاة، ونقصان الأجر لكثير منهم في فرائضهم ، فعن عمار بن ياسر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: (إن الرجل لينصرف من الصلاة وما كتب له إلا عشر صلاته، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها) رواه أبو داود[4].

وما دام أن الأمر كذلك فقد ذكر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكّر بأهمية النوافل وأدائها في حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب

---

[1] - أخرجه مسلم : (٧٢٨).

[2] - وقد ذكر الشيخ ابن عثيمين فروقاً كثيرة أوصلها إلى ثلاثين بين الفرض والنفل راجع (الشرح الممتع : ٤ / ١٢٩ ـ ١٣١) .

[3] - أخرجه البخاري : (٦٥٠٢) .

[4] - أخرجه أبو داود : (٧٩٠) . انظر صحيح أبي داود : (٧٦١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب ـ عز وجل ـ: انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل له ما أنتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك} رواه الترمذي[1].

قال النووي ـ رحمه الله ـ { شرح مسلم ٩/٦}: " قال العلماء: والحكمة في شرعية النوافل[2] تكميل الفرائض بها إن عرض فيها نقص كما ثبت في الحديث في سنن أبي داود وغيره ، ولترتاض نفسه بتقديم النافلة، وينشط بها ويتفرغ قلبه أكمل فراغ للفريضة، ولهذا يستحب أن تفتح صلاة الليل بركعتين خفيفتين كما ذكره مسلم بعد هذا قريباً} أ.هـ.

والسنن الرواتب[3] هي اثنتا عشرة ركعة:

١- أربع قبل الظهر. ٢- وركعتان بعد الظهر ٣- وركعتان بعد المغرب ٤- وركعتان بعد العشاء ٥- وركعتان قبل صلاة الفجر.

ودل على هذا العدد حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ في الترمذي[4] قالت: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:{من ثابر على اثنتي عشر ركعة من السنة بنى الله له بيتاً في الجنة :أربع ركعات قبل الظهر، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل الفجر} .

وفي حديث أم حبيبة ـ رضي الله عنها ـ عند الترمذي[5] وغيره قالت: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :{من صلى في يوم وليلة اثنتي عشر ركعة بُني له بيت في الجنة: أربعاً قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء، وركعتين بعد الفجر} .

<u>وقت السنن الرواتب:</u>

قال الإمام ابن قدامة (المغني ٢/٣٦٤): {فصل : كل سنة قبل الصلاة فوقتها من حول وقتها إلى فعل الصلاة ، وكل سنة بعدها فوقتها من فعل الصلاة إلى خروج وقتها).

---

[1] - أخرجه الترمذي : (٤١٣) ، وانظر صحيح الترغيب والترهيب للألباني : (٥٤٠) .

[2] - قال في النهاية : سميت النوافل في العبادات ، لأنها زائدة على الفرائض .

[3] -قال العلامة ابن عثيمين (الشرح الممتع: ٤ / ٦٨) : (الراتبة) أي: الدائمة المستمرة .

٤ ـ رواه الترمذي :(٤١٤) ،، وهو في صحيح الجامع رقم :(٦١٨٣)•

[5] ـ الترمذي برقم :(٤١٥) ، والنسائي :(١٨٠٦) ، وابن ماجة :(١١٤١) ،وصححه الألباني في الصحيحة : (٢٣٤٧).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قضاء الرواتب:

الصحيح من أقوال أهل العلم أن المسلم إذا انشغل عن الراتبة فإنه يقضي.

قال العلامة الفوزان ـ حفظه الله ـ (الملخص الفقهي) ١/١٤٣- ١٤٤: (إذا فاتك شيء من هذه السنن الرواتب فإنه يسن لك قضاؤه، وكذا إذا فاتك الوتر من الليل، فإنه يسن لك قضاؤه في النهار، لأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قضى ركعتي الفجر مع الفجر حين نام عنهما، وقضى الركعتين اللتين قبل الظهر بعد العصر، ويقاس الباقي من الرواتب في مشروعية قضائه إذا فات على ما فيه النص، وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : {من نام عن الوتر أو نسيه فليصله إذا أصبح أو ذكر} رواه أبو داود والترمذي[١]. ولكن من تركها عمدا حتى فات وقتها فإنه لا يقضيها لأن الرواتب عبادات مؤقتة ، والعبادات المؤقتة إذا تعمد الإنسان إخراجها عن وقتها لم تقبل منه .

الراتبة في السفر:

لم ينقل عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه صلى الرواتب في سفره إلا ما كان من سنة الفجر التي لم يكن يدعها في حضر ولا سفر[٢].

فعند البخاري ومسلم أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :{كان لا يدعهما حضراً ولا سفراً}[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ـ قال: {صحبت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم أره يسبح[٤] في السفر} رواه البخاري ومسلم[٥] .

وتتمته :{وقال الله جل ذكره: {لَقَدْ كان لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ }الأحزاب:٢١

وقال ابن عمر رضي الله عنهما ـ صحبت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان لا يزيد في السفر على ركعتين ، وأبا بكر، وعمر ، وعثمان ، كذلك ـ رضي الله عنهم ـ } رواه البخاري ومسلم[٦].

---

[١] - أخرجه أبو داود : (١٤٣١) ، والترمذي : (٤٦٥) ، وصححه الألباني في الإرواء :(٢ / ١٥٣) .

[٢] - من فتاوى أركان الإسلام للعلامة العثيمين : (٣٥٩).

[٣] - أخرجه البخاري : (١١٥٩) ، ومسلم : (٧٢٣) .

[٤] - المراد بقوله : يسبح ـ أي : ينتفل ـ وهو من باب إطلاق الجزء ـ وهو التسبيح ، وبرواية الكل وهي الصلاة النافلة سميت سبحة لتشبيهها لها بالتسبيحات في الفريضة لكونها نافلة .

[٥] - أخرجه البخاري : (١١٠١) ، ومسلم : (٦٨٩) .

[٦] - أخرجه البخاري : (١١٠٢) ، ومسلم : (٦٨٩) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي رواية عند مسلم: (أنه رأى ناسا قياما يصلون بعد صلاة الظهر في السفر فقال: ما يصنع هؤلاء؟ قيل: يسبحون قال: لو كنت مسبحاً لأتممت صلاتي)، ومعناه: لو اخترت التنفل لكان إتمام فريضتي أربعاً أحب إلي، ولكن لا أرى واحداً منهما، بل السنة القصر ، وترك التنفل بالرواتب .

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ {زاد المعاد ٣٠٥/١} : "وهذا من فقهه ـ رضي الله عنه ـ ، فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خفف عن المسافر في الرباعية شطرها، فلو شرع له الركعتان قبلها ، أو بعدها لكن الإتمام أولى به" .

فضل الركعتين قبل الفجر:

ركعتا الفجر وسنته هي آكد السنن الرواتب لقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ: (لم يكن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر) متفق عليه[1].

وعنها ـ رضي الله عنها ـ قالت: (كان لا يدع أربعاً قبل الظهر، وركعتين قبل الغداة) رواه البخاري.[2]

وفي مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: (ما رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في شيء من النوافل أسرع منه إلى الركعتين قبل الفجر)[3].

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحبهما ويقول: (لهما أحب إلي من الدنيا جميعاً) رواه مسلم عن عائشة.[4]

---

[1] - أخرجه البخاري : (١١٦٩) ، ومسلم : (٧٢٤) .

[2] - أخرجه البخاري : (١١٨٢) .

[3] - أخرجه مسلم : (٧٢٤) .

[4] - أخرجه مسلم : (٧٢٥) ، وفي كتابي :(تيسير الوصول لما يحبه الرسول)تجد تفصيلاً أكثر حول هاتين الركعتين من أحكام نتعلق بهما .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فضل الأربع قبل الظهر:

وسيأتي الحديث عنها مستقلة إن شاء الله تعالى .

السنن غير المؤكدة التابعة للفريضة:

١ . زيادة ركعتين على الركعتين اللتين بعد صلاة الظهر لحديث أم حبيبة . رضي الله عنها . قالت: سمعت رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يقول: (من صلى أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة[١].

٢- أربع ركعات أو ركعتان قبل صلاة العصر: عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما . قال: قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (رحم الله امرأ صلى أربعاً قبل العصر} رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي[٢].

وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال :كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم . : (يصلي قبل العصر أربع ركعات يفصل بينهن بالتسليم على الملائكة المقربين ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين) رواه الترمذي[٣].

وقد جاء عند أبي داود ذكر الركعتين قبل العصر من حديث علي بن أبي طالب . رضي الله عنه - قال: إن النبي . صلى الله عليه وسلم . كان يصلي قبل العصر ركعتين [٤].

١- سنة المغرب القبلية:

في البخاري عن عبد الله بن مغفل - رضي الله عنه - أن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال: (صلوا قبل المغرب قال في الثالثة : لمن شاء) رواه البخاري[٥].

وقوله . صلى الله عليه وسلم . :(لمن شاء) لئلا تتخذ سنة راتبة[٦].

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: {لقد رأيت كبار أصحاب رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يبتدرون السواري عند المغرب} رواه البخاري[٧].

---

(١) أخرجه الترمذي :(٤٢٧) ، والنسائي :(١٨٤١)، وابن ماجة :(١١٦٠) ،والحديث في صحيح الجامع :(٦٣٦٤) ، وصحيح الترغيب والترهيب : (٥٨٣).

٢- أخرجه أحمد في المسند (٥٧٩١) ، وأبو داود : (١٢٧١)، والترمذي : (٤٣٠)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود :(١١٥٤).

٣- أخرجه الترمذي : (٤٢٩) وهو في الصحيحة برقم : (٢٣٧)

٤- أخرجه أبو داود (١٢٧٢) ، وقال النووي في المجموع : (٤ /٨) :(كذلك إسناده صحيح). قال الألباني (تمام المنة : ٢٤١):(قلت : هو كذلك لولا أنه شاذ بهذا الفظ ، والمحفوظ بلفظ أربع ركعات)

٥- أخرجه البخاري :(١١٨٣) .

٦- شرح رياض الصالحين للعثيمين : (٢ / ١٣٢٨).

٧- أخرجه البخاري : (٥٠٣) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمعنى أنهم يستبقون إلى السواري ، وأعمدة المسجد لاتخاذها سترة للصلاة.

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا نصلي على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (ركعتين بعد غروب الشمس، قبل المغرب، فقيل : أكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلاهما: قال: كان يرانا نصليهما فلم يأمرنا ولم ينهانا} رواه مسلم[1].

وعنه قال: كنا بالمدينة فإذا أذن المؤذن لصلاة المغرب ابتدروا السواري فركعوا ركعتين حتى إن الرجل الغريب ليدخل المسجد فيحسب أن الصلاة قد صليت من كثرة من يصليها} رواه مسلم[2]. [3]

ولم ينقل عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان يصلي الركعتين قبل المغرب كما ذكر ذلك ابن القيم ـ رحمه الله ـ في الزاد {٣٠٢/١} ، وما رواه ابن حبان أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلى قبل المغرب {ركعتين} .

قال عنه العلامة الألباني {تمام المنة ٢٤٢} : " هذه الرواية منقطعة الإسناد منكرة المتن والمحفوظ الرواية الأولى في الكتاب من حديث البخاري بلفظ: (صلوا قبل المغرب) " .أ.هـ .

٤. سنة العشاء القبلية:

عن عبد الله بن مغفل ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (بين كل أذانين صلاة، بين كل أذانين صلاة) قال في الثالثة: (لمن شاء) متفق عليه[4].

فهذا الحديث عام في مشروعية الصلاة بين كل أذانين ، والمراد بالأذانين الأذان والإقامة، فالإقامة لغة : هي أذان وكذلك شرعاً بدليل هذا الحديث، وهو من باب التغليب كقولك: القمرين وتريد الشمس والقمر، والعمرين: وهما أبو بكر وعمر وهكذا.

قال العلامة ابن عثيمين {شرح رياض الصالحين} ١٣٢٢/٢: (العشاء كذلك ليس لها راتبة قبلها لكن تدخل في الحديث أن يصلي بعد الأذان وقبل الإقامة ركعتين).

---

[1] - أخرجه مسلم : (٨٣٦) .

[2] - أخرجه مسلم : (٨٣٧) .

[3] - وإذا علمت ذلك ـ فلا حجة لما ذهبت إليه الحنفية وتبعها في ذلك الهادوية من كراهة الصلاة قبل صلاة المغرب .

[4] - أخرجه البخاري : (٦٢٧)، و مسلم : (٨٣٨).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥. سنة الجمعة:

من المعلوم أن الجمعة صلاة مستقلة بنفسها تخالف الظهر في الجهر والعدد والخطبة والشروط المقيدة لها، ولها سننها الخاصة بها، فلا تلحق بالظهر في هذا الأمر أو تقاس عليه[١] ، وليس للجمعة سنة قبلية ثابتة عن النبي . صلى الله عليه وسلم . ، ونقل شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى {١٨٩/٢٤} اتفاق جماهير الأئمة على أنه ليس قبل الجمعة سنة مؤقتة بوقت ، مقدرة بعدد. قال في زاد المعاد {٤١٥/١}: " وهو مذهب مالك وأحمد في المشهور عنه ، وأحد الوجهين لأصحاب الشافعي" .

وأما التنفل المطلق قبل الجمعة قبل أن يحل وقت الزوال فقد جاء في مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال: (من اغتسل يوم الجمعة، ثم أتى المسجد، فصلى ما قدر له، ثم أنصت حتى يفرغ الإمام من خطبته، ثم يُصلي معه، غفر له ما بينه وبين الجمعة، وفضل ثلاثة أيام)[٢].

وللجمعة سنة بعدية ثبت فيها القول والفعل عنه . صلى الله عليه وسلم . فأما من قوله فأربع ركعات كما في حديث أبي هريرة . رضي الله عنه . قال: قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . :{إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعاً} رواه مسلم.[٣]

ومن فعله . صلى الله عليه وسلم . صلى ركعتين ، فعن ابن عمر . رضي الله عنهما . أن النبي . صلى الله عليه وسلم . :(كان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيُصلي ركعتين في بيته) . رواه مسلم[٤].

قال ابن القيم . رحمه الله . (زاد المعاد: ٤٢٥/١): (قال شيخنا أبو العباس ابن تيمية: إن صلى في المسجد صلى أربعاً، وإن صلى في بيته صلى ركعتين . قلت: وعلى هذا تدل الأحاديث وقد ذكر أبو داود أن النبي . صلى الله عليه وسلم . :(كان إذا صلى في المسجد صلى أربعا ، وإذا دخل في بيته صلى ركعتين)[٥] . أ.هـ .

---

[١] - راجع زاد المعاد :(١ / ٤١٧) ، ومجموع فتاوى ابن تيمية : (٢٤ / ١٩٠) .

[٢] - مسلم : (١٩٨٧) .

[٣] - أخرجه مسلم : (٨٨١) .

[٤] - أخرجه مسلم : (٨٨٢) .

[٥] - أخرجه أبو داود : (١١٣٠) ، وقال الأرناؤوط : إسناده حسن (حاشية زاد المعاد : ١ / ٤٢١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جدول موضح لسنن الفرائض القبلية والبعدية :

الصلاة	عدد سنتها القبلية	مرتبتها	عدد سنتها البعدية	مرتبتها
الفجر	٢	آكد الرواتب	لا يوجد	-
الظهر	٤ أو ٢	راتبة	٢	راتبة
العصر	٤	غير راتبة	لا يوجد	-
المغرب	٢	غير راتبة	٢	راتبة
العشاء	٢	غير راتبة	٢	راتبة
الجمعة	لا يوجد	-	٢ أو ٤	الركعتان راتبة والأربع غير راتبة[1]

وسنة الجمعة البعدية ذكرها ابن عمر. رضي الله عنهما . قال: (صليتُ مع رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قبل الظهر سجدتين، وبعدها سجدتين، وبعد المغرب سجدتين، وبعد العشاء سجدتين، وبعد الجمعة سجدتين، فأما المغرب والعشاء والجمعة فصليت مع النبي . صلى الله عليه وسلم . في بتيه) متفق عليه.[2] قال شيخ الإسلام ابن تيمية. رحمه الله . {مجموع الفتاوى ٢٤/٢٠٠}: {ومدارها – أي السنن الرواتب – على هذه الأحاديث الثلاثة حديث ابن عمر، وعائشة، وأم حبيبة . رضي الله عنهم . }أ.هـ.

[1] شرح رياض الصالحين : (٢ / ١٣٣٠) لابن عثيمين .

[2] أخرجه البخاري : (١١٧٢)، ومسلم : (٧٢٩) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من صلى أربعاً الضحى بُني له بيت في جنة المأوى

عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم .: (من صلى الضحى أربعاً ، وقبل الأولى أربعاً بُني له بيتاً في الجنة} رواه الطبراني في الأوسط[1].

. أخي الكريم . إن صلاة التطوع تنقسم إلى أقسام عدة ومنها: ما يكون مرتبطا بوقت إما بوقت الفريضة كما تقدم معنا ، أو في وقت لا علاقة له بالفريضة كما في الوتر ، والتراويح ، والضحى . ومنها ما هو مقرون بأسباب كصلاة الاستخارة والاستسقاء وغيرها . ومنه ما هو تطوع ونفل مطلق ليس له سبب ولا حصر لعدد ركعاته ، ويجوز في كل وقت من ليل أو نهار ما لم يكن في أوقات النهي[1].

وصلاة الضحى سنة ثابتة عن النبي . صلى الله عليه وسلم . من قوله وفعله، قال النووي: "وكون سنة الضحى سنة هو مذهب جمهور السلف ، وقول الفقهاء المتأخرين" وقد ذكر بعض أهل العلم أنها بلغت حد التواتر[2].

الأحاديث الواردة في فضل صلاة الضحى:

١- عن عائشة . رضي الله عنها . قالت: (كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . يُصلي الضحى أربعاً ، ويزيد ما شاء الله) رواه مسلم[3].

٢- عن أم هانئ . رضي الله عنها . قالت: (إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . صلى في بيتها عام الفتح ثمان ركعات . قالت: وذلك ضحى) رواه مسلم.[4]

٣- عن أنس بن مالك . رضي الله عنه . قال: (رأيت رسول الله . صلى الله عليه وسلم . صلى في سفر سُبحة الضحى، صلى ثمان ركعات) رواه أحمد[5].

---

[1] أخرجه الطبراني في الأوسط :(٤٨٥٣) ، وصححه الألباني في الصحيحة :(٢٣٤٩) .

[1] - من فقه العبادات للدكتور على القليصي ـ رحمه الله : (١ / ١٩٠) .

[2] - توضيح الأحكام : (١ / ٥٣٥) .

[3] - أخرجه مسلم : (٧١٩) .

[4] - أخرجه مسلم : (٣٣٦) .

[5] - أخرجه أحمد : (٢٤٨٦) ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي . قال الأرناؤوط : ويشهد له حديث ثوبان أخرجه مسلم :(٧٢٥٨) فالحديث صحيح لغيره حاشية الزاد :(١ / ٣٣٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤- وعن جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ (أنه رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلي صلاة الضحى) رواه الحاكم[١].

٥- عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: (أوصاني خليلي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى ، وأن أوتر قبل أن أنام) روه البخاري ومسلم[٢].

٦- عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: (أوصاني حبيبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بثلاث لن أدعهن ما عشت: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى ، وبأن لا أنام حتى أوتر) رواه مسلم[٣].

٧- عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: (أوصاني حبيبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بثلاثة لا أدعهن إن شاء الله تعالى أبداً: أوصاني بصلاة الضحى، وبالوتر قبل النوم، وبصيام ثلاثة أيام من كل شهر) رواه النسائي[٤].

٨- عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (يصبح على كل سُلامى[٥] من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة، صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك، ركعتان يركعهما من الضحى) رواه مسلم[٦].

٩- قال العلامة العثيمين: {الشرح الممتع: ٤/٨٣}: " وبناءً على هذا الحديث نقول: إنه يُسن أن يُصليهما دائماً، لأن أكثر الناس لا يستطيعون أن يأتوا بهذه الصدقات التي تبلغ ثلاثمائة وستين صدقة " أ.هـ.

---

[١] - قال الأرناؤوط : (١ / ٣٣٣) : (رجاله ثقات ، وذكره الهيثمي في المجمع : (٢ / ٢٣٨) ، ونسبه للطبراني في ((الكبير)) وقال : إسناده صحيح .

[٢] - أخرجه البخاري : (١١٧٨) ، ومسلم : (٧٢١) .

[٣] - أخرجه مسلم : (٧٢٢) .

[٤] - أخرجه النسائي: (٢٤٠٤) ، وصححه الألباني في الإرواء :(٩٤٦).

[٥] - قال النووي: شرح مسلم (٥ / ١٩٣) : (وهو بضم السين وتخفيف اللام ، وأصله عظام الأصابع وسائر الكف ، ثم استعمل في جميع عظام البدن ومفاصله)أ..أ.هـ .

[٦] - أخرجه مسلم : (٧٢٠) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٠- عن نعيم بن حماد قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: (قال الله ـ عز وجل ـ يا ابن آدم لا تعجزني عن أربع ركعات في أول النهار أكفك آخره) رواه أبو داود وأحمد.[١]

ومعنى لا تعجزني: أي لا تفوتني من العبادة، قال الحافظ العراقي: (أي لا تفتني بأن لا تفعل ذلك فيفوتك كفايتي آخر النهار)[٢] ، وقد ذكر هذا الحديث الإمام أبو داود في (باب صلاة الضحى) ، وقال الشوكاني: (نيل الأوطار: ٨٥/٢): (المراد بهذه الأربع ركعات صلاة الضحى) نقلاً عن العراقي.

عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (من مشى إلى صلاة مكتوبة وهو متطهر كان له كأجر الحاج المُحرم، ومن مشى على سُبحة الضحى كان له كأجر المعتمر، وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين) .

قال أبو أمامة: "الغدو والرواح إلى هذه المساجد من الجهاد في سبيل الله ـ عز وجل ـ " رواه أحمد[٣] وأبو داود.

١١- عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: بعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ جيشاً، فأعظموا الغنيمة، وأسرعوا الكرة، فقال رجل: يا رسول الله ، ما رأينا بعثاً قط أسرع كرة ، ولا أعظم غنيمة من هذا البعث، فقال: (أأخبركم بأسرع كرة، وأعظم غنيمة من هذا البعث: رجل توضأ في بيته فأحسن وضوءه، ثم عمد إلى المسجد، فصلى فيه صلاة الغداة، ثم أعقب بصلاة الضُحى، فقد أسرع الكرة، وأعظم الغنيمة). رواه أبو يعلي وابن حبان.[٤]

١٢- عن عتبان بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت أصلي لقومي ببني سالم، وكان يحول بيني وبينهم وادٍ إذا جاءت الأمطار ، فيشق علي اجتيازه قِبَل مسجدهم، فجئت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت له: إني أنكرت بصري، وإن الوادي الذي بيني وبين قومي يسيل إذا جاءت الأمطار فيشق عليّ اجتيازه، فوددت أنك تأتي فتصلي من بيتي مكانا أتخذه مصلى، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :{سأفعل} فغدا على رسول الله ـ

---

[١] - أخرجه أحمد : (٢٢٤٦٩) ، وأبو داود:(١٢٨٩) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود : (١١٦٧) .

[٢] - عون المعبود : (٤ / ١٢٤) .

[٣] - أخرجه أحمد : (٢٢٣٠٤) ، وأبو داود : (١٢٨٨) و: (٥٥٨) ، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود :(٥٦٧) .

[٤] - أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤ / ١٥٣ ـ ٥٣١) ، ومن طريقة ابن حبان : (٦٢٩) . انظر الصحيحة للألباني : (٢٥٣١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صلى الله عليه وسلم . وأبو بكر رضي الله عنه . حين ارتفع إليها، فاستأذن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فأذنت له، فلم يجلس حتى قال: أين تحب أن نُصلي من بيتك، فأشرت له إلى المكان الذي أحب أن يُصلي فيه، فقام رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فكبر وصففنا وراءه فصلى ركعتين ثم سلم وسلمنا حين سلم} متفق عليه[1].

١٣- عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين، ومن صلى أربعا كتب من العابدين، ومن صلى ستاً كفى ذلك اليوم، وصلى ثمانياً كتبه الله من القانتين، ومن صلى اثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتاً في الجنة، وما من يوم ولا ليلة إلا لله من يمن على عباده صدقة، وما من الله على أحد من عباده أفضل من إن يُلهمه ذكره) رواه الطبراني[2].

١٤ . عن بريدة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يقول: (في الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل صدقة، قالوا: فمن يطيق ذلك يا رسول الله ؟ قال: النخاعة في المسجد تدفنها ، والشيء تنحيه عن الطريق ، فإن لم تقدر فركعتا الضحى تجزئ عنك} رواه أحمد[3].

١٥- عن عاصم بن ضمرة قال: سألنا علياً عن صلاة رسول الله . صلى الله عليه وسلم . من النهار فقال: إنكم لا تطيقون ذلك، فقلنا: من أطاق ذلك منا، فقال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم . إذا كانت الشمس من هاهنا . المشرق . كهيئتها من هاهنا عند العصر صلى ركعتين، وإذا كانت الشمس من هاهنا كهيئتها من هاهنا عند الظهر صلى أربعا ، وصلى أربعا قبل الظهر وبعدها ركعتين، وقبل العصر أربعا يفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين والنبيين والمرسلين ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين} رواه الترمذي وابن ماجة.[4]

قال الشوكاني (نيل الأوطار: ٨٧/٢): " قوله: (إذا كانت الشمس من هاهنا) يعني من قبل المشرق مقداره من صلاة العصر من ههنا قبل المغرب المراد من هذا أنه . صلى الله عليه وسلم . صلى ركعتي الضحى. أ.هـ ".

---

[1] - أخرجه البخاري : (١١٨٦) ، ومسلم : (٣٣) .

[2] - أخرجه الطبراني في الدعاء : (حديث : ١٧٤٥) ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب :{٦٧٤}.

[3] - أخرجه أحمد في مسنده : (حديث : ٢٢٣٨٥) ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب :{٦٦٤}.

[4] - أخرجه الترمذي : (٥٩٨) ، وابن ماجة (١١٦١) ، والحديث في الصحيحة للألباني : (٢٣٧) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٦ . عن أبي هريرة . رضي الله عنه . أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . قال: {لا يحافظ على صلاة الضحى إلا أواب } رواه الحاكم[١] .

١٧ . عن عبد الله بن عابد أن أمامة وعتبة بن عبد . رضي الله عنهما . حدثاه عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال : {من صلى صلاة الصبح في جماعة ثم ثبت يسبح لله حتى الضحى كأن له كأجر حاج ، ومعتمر كاملة حجة وعمره } رواه الطبراني[٢] .

قال الإمام ابن القيم – ـ رحمه الله . {زاد المعاد} ١/٣٤٤: " فهذا أصل هذه الصلاة وقصتها، ولفظ البخاري فيها، فاختصره بعض الرواة عن عتبان، فقال: إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . صلى في بيته سُبحة الضحى، فقاموا وراءه فصلوا " أ.هـ.

قلت: إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، فلا التفات بعد هذه النصوص لمن يقول ببدعية صلاة الضحى، إذ أوصى . صلى الله عليه وسلم . ثلاثة من صحابته بها، بل وقد نقل عدد من الصحابة عنه أنه صلاها، ثم الأحاديث الأخرى التي تبين فضلها وتحث عليها، وتذكر أنها سبب في دخول الجنة، واعتلاء الدرج فيها ، ومن ثم المثبت مقدم على النافي.

وقال العلامة الشوكاني – . رحمه الله . – (نيل الأوطار: ٢/٨٢): {ولا يخفاك أن الأحاديث الواردة بإثباتها قد بلغت مبلغاً لا يقصر البعض منه على اقتضاء الاستحباب} .

وقد جمع الحاكم الأحاديث في إثباتها في جزء مفرد عن نحو عشرين نفساً من الصحابة، وكذلك السيوطي صنّف جزءاً في الأحاديث الواردة في إثباتها وروى فيه عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا يصلونها منهم أبو سعيد الخدري، وقد روى ذلك عنه سعيد بن منصور، وأحمد بن حنبل، وعائشة، وقد روى ذلك عنهما سعيد بن منصور وابن أبي شيبة، وأبو ذر وقد روى ذلك عنه ابن أبي شيبة وعبدالله بن غالب ، و روى عنه أبو نعيم وأخرج سعيد بن منصور عن الحسن أنه سئل هل كان أصحاب رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يصلونها ؟ فقال: نعم كان منهم من يصلي ركعتين، ومنهم من يصلي أربعاً ومنهم من يمد إلى نصف النهار.

وأخرج سعيد بن منصور في سننه أيضاً عن ابن عباس أنه قال: طلبت صلاة الضحى في القرآن فوجدتها ههنا { يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ }ص:١٨ .

---

[١] - أخرجه الحاكم : (١ / ٣١٤) ، وهو في السلسلة الصحيحة للألباني برقم : (٧٠٣) .

[٢] - أخرجه الطبراني : حديث : (٧٥٩٧). وهو في صحيح الترغيب :(٤٦٩) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف والبيهقي في الإيمان من وجه أخر عن ابن عباس أنه قال: إن صلاة الضحى لفي القرآن، وما يغوص عليها إلا غواص في قوله تعالى : {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ إن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ }النور:٣٦ . وأخرج الأصبهاني في الترغيب عن عون العقيلي في قوله تعالى: { فَإِنهُ كأن لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً }الإسراء:٢٥ .قال: " الذين يصلون صلاة الضحى" أ.هـ كلامه. رحمه الله. .

وقت صلاة الضحى :

تقدم في حديث عتبان ـ رضي الله عنه ـ بيان ذلك، فقال: {حين ارتفع النهار}.

وفي حديث علي. رضي الله عنه. المتقدم كذلك.

(حتى إذا كانت الشمس من هاهنا – يعني المشرق – مقدارها من صلاة العصر من ههنا قبل المغرب قام فصلى ركعتين) قال العلامة الشوكاني – . رحمه الله . (نيل الأوطار: ٨٧/٢):(المراد من هذا أنه . صلى الله عليه وسلم . صلى ركعتي الضحى ، ومقدار ارتفاع الشمس من جهة المشرق كمقدار ارتفاعها من جهة المغرب عند صلاة العصر، وفيه تبيين وقتها} أ.هـ.

فوقت صلاة الضحى إذاً من ارتفاع الشمس قيد رمح بعد طلوعها إلى قبيل الزوال. وقت قيام الشمس في كبد السماء. فهي واقعة بين وقتي نهي – حين ارتفاع الشمس ، وحين الزوال – فإذا ارتفعت الشمس قيد رمح فذاك بداية وقتها.

قال العلامة العثيمين ـ رحمه الله . {الشرح الممتع} ٨٧/٤ :"وبالدقائق المعروفة: حوالي اثنتي عشر دقيقة، ولنجعله ربع ساعة خمس عشرة دقيقة، لأنه أحوط فإذا مضى خمس عشرة دقيقة من طلوع الشمس فإنه يزول وقت النهي، ويدخل وقت صلاة الضحى} أ.هـ.

وكذلك قبل الزوال بعشر دقائق لأن ما قبل الزوال وقت نهي ينهي عن الصلاة فيه، لأنه الوقت الذي تسجر فيه جهنم [1].

وأما النهي عن الصلاة في هذين الوقتين فقد جاء في صحيح مسلم عن عقبة بن عامر.. رضي الله عنه. ـ قال: (ثلاث ساعات كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . ينهانا أن نُصلي فيهن، أو أن نقبر فيهن

[1] - الشرح الممتع : (٤ / ٨٨) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

موتانا حين تطلع الشمسُ بازغة حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس ، وحين تضيف الشمس للغروب حتى تغرب)[1].

أفضل وقتها:

وأفضل وقت لصلاة الضحى عند اشتداد الحر لما ثبت في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم. رضي الله عنه. قال: خرج رسول الله . صلى الله عليه وسلم . على أهل قباء وهم يصلون، فقال: (صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال) وفي رواية (حين ترمض الفصال) قال الإمام النووي. رحمه الله. (شرح مسلم: ٦/٢٥) ٣٢: (قوله. صلى الله عليه وسلم. : (صلاة الأوابين حين ترمض الفصال)[2] .

هو بفتح التاء والميم، يقال: رمض يرمض كعلم يعلم، والرمضاء: الرمل الذي اشتدت حرارته بالشمس، أي :حين يحترق أخفاف الفصال، وهي الصغار من أولاد الإبل، جمع فصل من شدة حر الرمل، والأواب: المطيع، وقيل الراجع إلى الطاعة، وفيه فضيلة الصلاة هذا الوقت قال أصحابنا: هو أفضل وقت صلاة الضحى، وإن كانت تجوز من طلوع الشمس إلى الزوال) أ.هـ.

وقد أخرج الحاكم وغيره عن أبي هريرة حديثاً صريحاً في تفسير صلاة الأوابين وأنها صلاة الضحى فعن أبي هريرة. رضي الله عنه. قال: قال رسول الله. صلى الله عليه وسلم. :(لا يحافظ على صلاة الضحى إلا أواب، قال، وهي صلاة الأوابين)[3].

وفي حديث أبي هريرة في وصية النبي. صلى الله عليه وسلم. له بثلاث وهو عند مسلم والبخاري جاء في زيادة عند أحمد ، وابن خزيمة: (وأن لا أدع صلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين)[4].

وأما ما جاء من أن صلاة الأوابين هي ما بين المغرب والعشاء فالحديث فيه ضعف، انظر ضعيف الجامع :٥٦٧٦. قال العلامة عبد الله البسام (توضيح الأحكام: ١/٥٣٦): (سميت تلك الصلاة صلاة الأوابين، لأنهم آبوا ورحلوا إلى طاعة الله وعبادته حينما اشتغل الناس بتجارتهم ومتاعهم وزراعتهم، ومال بعضهم إلى الراحة، فيأتي الأوابون بذكر الله تعالى، وينقطعون عن كل مطلوب سواه، والله الموفق). أ.هـ.

---

[1] - أخرجه مسلم : (٨٣١) .

[2] - أخرجه مسلم : (٧٤٨) .

[3] - أخرجه ابن خزيمة :(١ / ١٣٣ / ١) ، و الحاكم :(١ / ٣١٤) . انظر صحيح الجامع رقم : (٧٦٢٨) .

[4] - رواه أحمد :(٥٠٥/٢) ، وابن خزيمة :(١٢٢٣) ،. صحيح الترغيب والترهيب : (٦٦٤) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عدد ركعاتها:

أقلها ركعتين ، وهو أقل عدد في صلاة التطوع ما عدا الوتر وعليه فلا يجوز التطوع بركعة[1] .

وتقدم معنا الأحاديث في ذكر عدد صلاة الضحى فقد ثبت الركعتان ، والأربع ، والثمان عنه . صلى لله عليه وسلم . من فعله وقوله وأما أكثرها فقد قال بعض العلماء : أكثرها ثمان، وقيل اثنتا عشرة ركعة[2] يسلم بين كل ركعتين.

ورجح العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى . في (الشرح الممتع:٤/٨٥:):(أنه لا حد لأكثرها، فقال . رحمه الله .: {والصحيح أنه لاحدلأكثرها لأن عائشة . رضي الله عنها . قالت: (كان النبي . صلى الله عليه وسلم . يُصلي الضحى أربعاً، ويزيد ما شاء الله} أخرجه مسلم.[3] ولم تقيد.

ولو صلى من ارتفاع الشمس قيد رمح إلى قبيل الزوال أربعين ركعة مثلاً، لكان هذا كله داخلاً في صلاة الضحى) أ.هـ.

وقال في شرح (رياض الصالحين:٢/١٣٣٧): {وأما قول من قال: إن أكثرها ثمان، ففيه نظر، لأن حديث أم هانئ في فتح مكة قالت :إن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . صلى ثمان ركعات لا يدل على أن هذا هو أعلاه} أ.هـ.

---

[1] - الشرح الممتع : (٤ / ٨٤) .

[2] - انظر الشرح الممتع : (٤ / ٨٤) ، وفقه العبادات للقليصي (١ / ٢٠١) .

[3] - تقدم تخريجه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من صلى أربعاً قبل الظهر فاز ببيت في جنة الطهر

عن أبي موسى الأشعري . رضي الله عنه . قال: قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . :{من صلى الضحى أربعاً ، وقبل الأولى أربعاً، بنى الله له بيتاً في الجنة} رواه الطبراني في الأوسط[1].

لقد شرع الله . عز وجل . لنا الفرائض وشرع إلى جانبها نافلة من جنسها، كفريضة الصلاة، وفريضة الصيام، وفريضة الزكاة، وفريضة الحج، كل هذه الفرائض يشرع إلى جانبها نافلة من جنسها، تجبر نقصها وتصلح خللها، وهذا من فضل الله على عباده، حيث نوع لهم الطاعات، ليرفع لهم الدرجات، ويحط عنهم السيئات . ومن هذه النوافل الرواتب بعدالفريضة وقبلها ، وفي هذا الحديث فضيلة عظيمة للأربع الركعات قبل صلاة الظهر وهي الصلاة الأولى المعنية في هذا الحديث ، ومماجاء في فضلها :

١- حبه . صلى الله عليه وسلم . للأربع قبل الظهر ، والمواظبة عليها:

عن قابوس عن أبيه قال: أرسل أبي امرأة إلى عائشة . رضي الله عنها . يسألها أي الصلاة كانت أحب إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . أن يواظب عليها ؟ قالت: (يُصلي قبل الظهر أربعا يطيل فيهن القيام، ويحسن فيهن الركوع والسجود) رواه ابن ماجة[2].

٢- تفتح لهن أبواب السماء:

أخبرنا النبي . صلى الله عليه وسلم . أن أبواب السماء تفتح في هذا الوقت ولذلك يقول عبدالله بن السائب . رضي الله عنه . : (كان النبي . صلى الله عليه وسلم . يصلي قبل الظهر بعد الزوال أربعا ، ويقول :إن أبواب السماء تفتح فيها، فأحب أن أقدم فيها عملا صالحا) رواه أحمد[3].

وعن أبي أيوب . رضي الله عنه . قال: إن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال: (أربع قبل الظهر ليس فيهن تسليم[4] تفتح لهن أبواب السماء) . رواه أبو داود[5].

---

[1] - أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث : (٤٨٥٣) ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم : (٢٣٤٩) . وقد تقدم . وقال . رحمه الله . : والمراد بالأولى صلاة الظهر فيما يبدو . والله أعلم) وسميت الأولى لأن جبريل عندما علم النبي . صلى الله عليه وسلم . . مواقيت الصلاة بدأ بالظهر كما في حديث ابن عباس

[2] - أخرجه ابن ماجة : (١١٥٦) ، وهو في الصحيحة برقم : (٢٧٠٥) .

[3] - في سنده برقم : (١٥٠٩٩) ، وهو في الصحيحة برقم : (٣٤٠٤) .

[4] - قال المناوي في التيسير شرح الجامع الصغير (١ / ٢٧٦) : (تفتح لهن أبواب السماء) : كناية عن حسن القبول وسرعة الوصول) .

[5] - أخرجه أبو داود : (١٢٧٠) وهو في صحيح الجامع : (٦٣٦٤) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣- **نجاة من النار:**

عن أم حبيبة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :(من صلى قبل الظهر أربعا ، وبعدها أربعا حرمه الله على النار} رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة.[١]

٤- **تعدلن بصلاة السحر:**

عن أبي صالح - مرسلاً -:«أربع ركعات قبل الظهر يعدلن بصلاة السحر» رواه ابن أبي شيبة في مصنفه[٢].

فهذه فضائل كريمة ، ومزايا جليلة لهذه السنة العظيمة . وقد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ مواظباً عليها، ومن ذلك أنه إذا لم يصلها قبل الظهر صلاها بعده.

ـ عن عائشة - رضي اللّه عنها- :(أن النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ كان إذا لم يصل أربعاً قبل الظهر صلاهن بعده) رواه الترمذي[٣].

وفي حديث علي ـ رضي اللّه عنه ـ قال: (كان رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ يصلي قبل الظهر أربعاً ، وبعدها ركعتين) رواه الترمذي [٤].

وفي البخاري تقول الصديقة ـ رضي الله عنها ـ :(أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ

كان لا يدع أربعاً قبل الظهر} ـ رواه البخاري.[٥]

قال العلامة الشوكاني ـ رحمه الله ـ في شرح حديث أم حبيبة المتقدم :"والحديث يدل على تأكد استحباب أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها، وكفى بهذا الترغيب باعثاً على ذلك". ثم قال: " وظاهر قوله :{من صلى} أن التحريم على النار يحصل بمرة واحدة، ولكنه قد أخرجه الترمذي وأبو داود وغيرهما بلفظ :{من حافظ} فلا يحرم على النار إلا المحافظ" أ.هـ.[٦]

وهؤلاء الركعات الأربع هن من رواتب الفريضة ، والتي تقدم بيان فضلها وأهميتها.

---

[١] - أخرجه الترمذي : (٤٢٧) ، والنسائي : (١٨١٤) ، وابن ماجة (١١٦٠) . والحديث في صحيح الجامع :(٦٣٦٤) ، وصحيح الترغيب والترهيب : (٥٨٣).

[٢] والنسائي : (١٨١٤) ، وابن ماجة (١١٦٠) . والحديث في صحيح الجامع :(٦٣٦٤) ، وصحيح الترغيب والترهيب : (٥٨٣).

[٢] أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه :(٥٨٥٧) ، والحديث في صحيح الجامع :(٨٨٢).

[٣] أخرجه الترمذي:(٤٢٦) ، وهو في صحيح الترمذي :(٣٥٠).

[٤] رواه الترمذي في كتاب الصلاة ـ باب ما جاء في الأربع قبل الظهر، وصححه الألباني في صحيح الترمذي :(٣٤٨) .

[٥] - أخرجه البخاري : (١١٨٢) .

[٦] - نيل الأوطار : (٢ / ٢٤) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صلاة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للأربع قبل الظهر في بيته:

في صحيح مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: (كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلي قبل الظهر أربعاً في بيتي ثم يخرج فيصلي بالناس)[1].

وفي هذا الحديث فضيلة صلاة النافلة في البيت وأنه أفضل، فرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع فضل الصلاة في المسجد النبوي إلا أنه صلاها في بيته ـ عليه الصلاة والسلام ـ بل وصرح بذلك ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما ثبت عند ابن ماجة، عن عبدالله بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيما أفضل: الصلاة في بيتي ، أو الصلاة في المسجد؟ فقال: (ألا ترى إلى بيتي؟ ما أقربه إلى المسجد؟ فلأن أصلي في بيتي أحب إلى من أن أصلي في المسجد إلا أن تكون صلاة مكتوبة)[2].

وفي غير ما حديث يحث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على صلاة النافلة في البيت فعن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبوراً) رواه البخاري ومسلم[3].

وعن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (صلوا أيها الناس في بيوتكم فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة) متفق عليه[4].

وفي مسلم عن جابر عن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (إذا قضى أحدكم صلاته في مسجده فليجعل لبيته نصيباً من صلاته، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيراً) رواه مسلم[5].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تجعلوها قبورا كما اتخذت اليهود والنصارى في بيوتهم قبورا، وإن البيت ليتلى فيه القرآن فيتراءى لأهل السماء كما تتراءى النجوم لأهل الأرض) رواه أحمد[6].

قال العلامة صالح الفوزان – حفظه الله – بعد ذكره حديث عائشة الذي في مسلم: " فيؤخذ من هذا أن فعل الراتبة في البيت أفضل من فعلها في المسجد، وذلك لمصالح تترتب على ذلك منها: البعد عن

---

[1] – رواه مسلم : (٧٣٠) .

[2] – أخرجه ابن ماجة : (١٣٧٨) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب : (٤٣٩) .

[3] – أخرجه البخاري : (٤٣٢) ، ومسلم : (٧٧٧).

[4] – البخاري : (٧٣١) ، ومسلم : (٧٨١) .

[5] – أخرجه مسلم : (٧٧٨) .

[6] – أخرجه أحمد: (٦ / ٦٥) ، وهو في الصحيحة :(٣١١٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرياء ، والإعجاب ، ولإخفاء العمل عن الناس، ومنها: أن ذلك سبب لتمام الخشوع ، والإخلاص . ومنها: عمارة البيت بذكر الله ، والصلاة التي بسببها تنزل الرحمة على أهل البيت، ويبتعد عنه الشيطان". أ.هـ.

هل تُصلى بتسليمتين أم بتسليمة واحدة:

ذهب الأئمة الثلاثة أحمد ومالك والشافعي ـ رحمهم الله ـ إلى أنها تصلى بتسليمتين وحجتهم حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يصليهن بتسليمتين[1].

وذهب الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ إلى أنها تصلى أربعاً بتسليمة واحدة ، واستدل بحديث أبي أيوب {ليس فيهن تسليم}[2].

قال القارىء ـ رحمه الله ـ : " الأفضل فيها ذلك ـ أي عدم الفصل بسلام ـ وكذا يستدل بهذا من جعل صلاة النهار أربعاً أربعاً " أ.هـ.

وقال في {المرقاة: ٢٨٢/٤}: " ولا شك أنه يجوز أذا صلى أربعاً أن يكون بتسليمة ،أو بتسليمتين والخلاف في الأولوية " . أ.هـ.

ونص الحديث ـ حديث أبي أيوب ـ نص صريح في فضل صلاتها بتسليمة واحدة ، ولا يمنع ذلك أن تصلى ركعتين ركعتين بتسليمتين لاسيما ، والكل وارد عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع زيادة فضل وذكر منقبة لمن صلاهن بدون تسليم إذ تفتح لهن أبواب السماء. والله أعلم.

---

[1] عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للعيني: (١١ / ٤٠٧) .

[2] تقدم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثلاث صفات ترقى بالمؤمن في نعيم الجنات

عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً ، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه) رواه أبو داود[1].

الخصال الحسنة طريق إلى كل خير ومن آثارها الطيبة ما جاء في هذا الحديث من فضيلة ثلاث خصال، وثلاث بثلاث، فمع كل خصلة يقوم بها المسلم يُبنى له بيت في الجنة.

قال الخطابي: البيت هاهنا القصر يقال هذا بيت فلان : أي قصره[2].

ويكفيك فخراً إن كنت من أصحاب هذه الخصال الحميدة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الزعيم ، والزعيم :الضامن لهذه القصور على شريطة أن تُحقق المشروط من أجله، ولنعش مع هذه الخصال الحميدة، والمكارم السديدة من خلال نافذة الكتاب الكريم ، والسنة المطهرة الرشيدة .

١ . ترك المراء:

المراء يقول أهل العلم :هو الجدل والخصومة وهو خلق ذميم يقسي القلب، ويولد الضغائن ، ويورث البغضاء والقطيعة ، وفي حديث أبي أمامة عند الترمذي وابن ماجة[3] قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (ما ظل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل) .فالجدل طريق للضلال، وهو وظيفة من لا عمل له، و سبيل البطالين ، والفارغين ، وخاتمة ذلك الابتعاد عن الصراط المستقيم، والانتكاسة عن طريق الهداية، وكم قد شاهدنا في هذه الحياة من متساقطين عن طريق الهداية، كان من أسباب تنكبهم عن الهدى، الخصام ، والمراء ، والجدل بالباطل والإثم، وما يزيدنا هذا إلا يقينا بصدقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعداً عن هذا الخلق الذميم ـ عافانا الله وإياكم منه ـ ، ورب العزة ـ جل وعلا ـ يذم الكفار وجدالهم بالباطل، فيقول: {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ }الزخرف:٥٨ .

وفي كتاب الله العزيز آيات كثيرة تذم جدال الكفار وسوء أخلاقهم في هذه الخصلة الذميمة فمنها.

---

[1] أخرجه أبو داود (٤٨٠٠) ، وهو في صحيح الترغيب : (٢٦٤٨) .

[2] معالم السنن : (٤٧٣٢) .

[3] أخرجه الترمذي :(٣٢٥٣) ، و ابن ماجة :(٤٨) ، وهو في صحيح الجامع حديث رقم :(٥٦٣٣).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال تعالى :{ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُواً }الكهف: ٥٦ ، وقال تعالى : {وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ }الشورى:١٦ .

وقال تعالى : {وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً إن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِن هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ }الأنعام:٢٥ .وقال ـ عز وجل ـ :{ أَوَلَمْ يَرَ الإنسان أنا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ{٧٧} وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ{٧٨} سورة يس . والآيات في هذا كثيرة.

ـ أبغض الرجال إلى الله تعالى :

مما ينفر المرء من هذه الخصلة الذميمة أن يعلم أن صاحبها من أبغض الخلق إلى الله تعالى ، وهذا ما حدثنا به الصادق المصدوق ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما ثبت في الصحيحين عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : قال : (أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم) [١]

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ (شرح مسلم ـ ١٦ / ٢٠٦) : " قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم) ، هو بفتح الخاء وكسر الصاد . و { الألد } شديد الخصومة مأخوذ من لديدي الوادي وهما جانباه ، لأنه كلما احتج عليه بحجة أخذ في جانب آخر . وأما { الخصم } فهو الحاذق بالخصومة بالباطل في رفع الحق ، أو إثبات باطل والله أعلم" أ.هـ.

ـ المراء بالباطل يسبب سخط الله . والعياذ بالله من ذلك :

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (من خاصم في باطل وهو يعلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع) رواه أبو داود [٢].

ومعنى { حتى ينزع } :أي حتى يترك ويتوب إلى الله من ذلك فاعلم ـ أخي الكريم ـ أن الجدال والمراء بالباطل مذموم ، وصاحبه على شفا جرف هار ، ولذلك كان السلف ـ رحمهم الله ـ يذمون هذا الخُلق ذماً شديداً .

فها هو الحسن البصري ـ رحمه الله ـ سمع قوماً يتجادلون فقال: " هؤلاء قوم ملوا العبادة ، وحق عليهم القول ، وقل ورعهم فتكلموا " .

---

[١] ـ أخرجه البخاري :(٢٤٥٧) ، ومسلم : (٢٦٦٨) .

[٢] ـ أخرجه أبو داود :(٣٥٩٧) ، وهو في صحيح الجامع للألباني : (٦١٩٦) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال مهدي بن ميمون : "سمعت محمد بن سيرين وماراه رجل . أي جادله . ففطن له ، فقال : " إني أعلم ما يريد ، إني لو أردت أن أماريك كنت عالماً بأبواب المراء ، ولكن لماذا أضيع وقتي معك؟ " .

وقال جعفر بن محمد : " إياكم والخصومات في الدين ، فإنها تشغل القلب ، وتورث النفاق " .

قال الإمام النووي في {الأذكار} : "فإن قلت : لابد للإنسان من خصومة لاستفاء حقوقه . فالجواب ما أجاب به الغزالي : أن الذم إنما هو فيمن خاصم بباطل وبغير علم كوكيل القاضي ، فإنه يتوكل قبل أن يعرف الحق في أي جانب . ويدخل في الذم من يطلب حقاً لكن لا يقتصر على قدر الحاجة ، بل يظهر اللدد والكذب لإيذاء خصمه ، وكذلك من يحمله على الخصومة محض العناد ولقهر خصمه وكسره ، ومثله من يخالط الخصومة بكلمات تؤذي وليس إليها ضرورة في التوصل إلى غرضه فهذا هوا المذموم ، بخلاف المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف ، وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد ولا إيذاء بفعله ، وهذا ليس مذموماً ولا حراماً ، ولكن الأولى تركه ما وجد إليه السبيل . وفي بعض كتب الشافعية أنها ترد شهادة من يكثر الخصومة لأنها تنقص المروءة لا لكونها معصية } .

. الخصام سبب في عدم رفع الأعمال:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه . أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال :(تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين و يوم الخميس فيغفر فيها لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلاً كانت بينه و بين أخيه شحناء فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا) رواه مسلم [1].

.

فالجنة لا يدخل فيها إلا المتحابون، أما المتباغضون المتخاصمون فليس لهم محل؛ لان الجنة لا تصلح للتباغض، وهي أطهر من أن تسع متباغضين متخاصمين .

قال الإمام النووي :(شرح مسلم) :(قوله . صلى الله عليه و سلم .:(تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس) الحديث قال القاضي : قال الباجي :معنى فتحها كثرة الصفح والغفران ، ورفع المنازل وإعطاء الثواب الجزيل ، قال القاضي :ويحتمل أن يكون على ظاهره ، وأن فتح أبوابها علامة لذلك .

[1] - أخرجه مسلم:(٢٥٦٥).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ (وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً):

الكذب خصلة ذميمة ، وخلة أثيمة ، مبغوضة عند الله وعند خلقه ، وصاحبها موصوف بالدناءة ، وموسوم بالانحطاط ، تأباه الفطرة السليمة ، والعقول المستقيمة .

وهو صفة للمنافقين الخونة ، ففي الصحيحين أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (آية المنافقين ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا أوعد أخلف ، وإذا ائتمن خان)[1] .

وقال ـ صلى الله عليه وسلم : (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن . كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر) متفق عليه [2] قال تعالى : { وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ }المنافقون:١ وهذه أبرز صفات النفاق العملي ومنها ، وعلى رأسها الكذب وتزوير الحقائق ، والافتراء بالباطل ، فهذا هو الزور الذي يجر صاحبه إلى الفجور. و في الصحيحين أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :. (إن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، ولا يزال الرجل يكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً). فالكاذب مكتوب عند الله كذاباً ، وبئس هذا الوصف لمن اتصف به .

ولقد قرن الله الكذب بعبادة الأوثان فقال تعالى : {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ }الحج:٣٠

ولقد كان الكفار في كفرهم ، وأهل الجاهلية في جاهليتهم لا يمتطون الكذب ، ولا يتخذونه منهجاً لحياتهم ، أو بلوغ مآربهم ، ففي قصة هرقل وسؤالا ته لأبي سفيان عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال أبو سفيان: (فو الله لولا الحياء من أن يؤثروا علي كذباً لكذبت عليه) رواه البخاري[3].

فهذا أبو سفيان ـ وهو في كفره قبل أن يسلم يترفع عن الكذب ، ويستحي أن يؤثر عليه ، أو ينسب إليه، فكيف بك أيها المؤمن، وقد حباك الله بهذا الدين العظيم ، والذي يأمر بالصدق ، ويحث عليه.

---

[1] - أخرجه: البخاري:(٣٣) ، ومسلم :(١٠٧) و(١٠٩).

[2] - أخرجه : البخاري (٣٤) ، ومسلم (١٠٦) .

[3] - أخرجه البخاري : (٧) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ الكذب تعريفه ، أنواعه وأقسامه :

وبعد فاعلم ـ أخي الكريم ـ أن الكذب هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه سواء كان عمداً أو خطأً[1] .

وكما يكون الكذب في الأقوال فكذلك يكون في الأفعال كما في قصة أخوة يوسف - عليه الصلاة والسلام - : { وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ{١٦} قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ{١٧} وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ{١٨}سورة يوسف .

فجمعوا بين الكذب بالقول ، والكذب بالفعل .

ـ أنواع الكذب

واعلم أن الكذب أنواع :

الأول: الكذب على الله ورسوله :

وهذا أعظم أنواع الكذب : قال تعالى : {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }الأنعام : ١٤٤.

يقول الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ { الكبائر وتبين المحارم : ٦١} : " قد ذهب طائفة من العلماء إلى أن الكذب على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كفر ينقل عن الملة ، ولا ريب أن تعمد الكذب على الله ورسوله في تحليل الحرام وتحريم الحلال كفر محض ، وإنما الشأن في الكذب عليه في سوى ذلك" .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال :. (إن كذباً علي ليس ككذب على غيري ، من كذب علي عامداً فليتبوأ مقعده من النار) رواه البخاري ومسلم[2] .

الثاني : الكذب في الحلم :

عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : { من تحلم[3] بحلم لم يره ، كُلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل } رواه البخاري[4] .

---

[1] فتح الباري (٦ / ٢٤٢) . قال النووي (الأذكار : ٣٣٧) : (لكن لا يأثم في الجهل ، وإنما يأثم في العمد) أ..هـ .

[2] أخرجه البخاري : (١٠٣) ، ومسلم : (٣) .

[3] - تحلم : أي قال : إنه حلم في نومه، ورأى كذا وكذا وهو كاذب .

[4] - أخرجه البخاري : (٧٠٤٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : { أفرى الفِري أن يُري الرجل عينه ما لم ترياً } رواه البخاري[1] .

قال العلامة : ابن عثيمين (شرح رياض الصالحين : ٢ / ١٦٢٧) : (والمعلوم أن الإنسان لو حاول مهما حاول أن يعقد بين شعيرتين فإنه لا يستطيع ، ولكنه لا يزال يُعذب ، ويقال : لابد أن تعقد بينهما ، وهذا وعيد يدل على أن التحلم بما لم يره الإنسان من كبائر الذنوب ، وهذا ما يقع من بعض السفهاء ، يتحدث ويقول : رأيت البارحة كذا وكذا ، لأجل أن يُضحك الناس ، وهذا حرام عليه ، وأشد من ذلك أن يقول : رأيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال لي : كذا وكذا وما أشبه ذلك ، فإنه أشد وأشد لأنه كذب على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ) أ.هـ .

وفي { فتح الباري : ١٢ / ٤٤٧ } : " قال الطبري : (إنما اشتد فيه الوعيد مع أن الكذب في اليقظة قد يكون أكثر مفسدةً منه ، إذ قد تكون شهادة في قتل أحد ، وأخذ مال ذلك لأن الكذب في المنام كذب على الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنه أراه ما لم يره ، والكذب على الله أشد من الكذب على المخلوقين لقوله تعالى : {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَـؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ }هود:١٨ .وإنما كان الكذب في المنام كذباً على الله لحديث : (الرؤيا جزءُ من النبوة) ، وما كان من أجزاء النبوة فهو من قبل الله ـ سبحانه وتعالى ـ) أ.هـ .

ـ الكذب في البيع والشراء:

عن حكيم بن حزام ـ رضي لله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، أو قال : حتى يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بُورك لهما في بيعهما ، وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما) رواه البخاري ومسلم[2] .

فالبائع الكذاب في بيعه يُودي بماله إلى التلف ، ومحق البركة ، وكم من الناس من يظن أنه بالكذب ينفق ماله ويُربح تجارته ، لكنه في الحقيقة يهلك ماله ويمحقه كما نطق بذلك المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي لا ينطق عن الهوى .

---

[1] ـ أخرجه البخاري : (٧٠٤٣) .

[2] ـ أخرجه البخاري: (٢٠٧٩) ، ومسلم : (١٥٣٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال ـ إن النبي ـ صلى الله عيه وسلم ـ قال ـ: { ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة لقد أعطي بها أكثر مما أعطى وهو كاذب ...الخ }[1] .

وفي مسلم عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ، ولهم عذب أليم : المسبل إزاره ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب)[2].

ـ الكذب لأكل أموال الناس بالباطل:

عُلم مما تقد أن الكذب حرام وهذا مادلت عليه النصوص ، وأجمعت عليه الأمة . ولكنه إذا تضمن أكل مال بالباطل كان أعظم جرماً ، وأشد عقوبةً .

فعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس) رواه البخاري[3].

وفي رواية : (قيل ما اليمين الغموس؟ قال: التي يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها كاذب).

وقيل سميت غموساً لأنها تغمس الحالف في الإثم[4].

وفي صحيح مسلم عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئٍ مسلم ، لقي الله وهو عليه غضبان ، قيل :وإن كان شيئاً يسيراً ؟ قال : { وإن كان قضيباً من أراك }[5] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم : ..... ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم) .رواه البخاري ومسلم[6].

قال الإمام النووي : { شرح مسلم ٢/ ٩٤ } : (وخص ما بعد العصر لشرفه ، بسبب اجتماع ملائكة الليل والنهار وغير ذلك) أ.هـ .

---

[1] - أخرجه البخاري : (٢٢٤٠) ، ومسلم : (١٠٨) .

[2] - أخرجه مسلم : (١٠٦) .

[3] - أخرجه البخاري : (٦٦٧٥) .

[4] - الكبائر وتبيين المحارم للذهبي (ص:٩١) .

[5] - أخرجه مسلم : (١٣٧) .

[6] - أخرجه البخاري : (٢١٩٦) ، ومسلم : (٩٩٠).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ الكذب على الأطفال ، والاستهانة به عند كثير من الناس:

الكذب هو الكذب سواءً كان على الكبار أو الصغار . وبعض الناس يكثر من الكذب على الأطفال لإسكاتهم أو غير ذلك من الأسباب ، وهذا له آثاره السلبية في تربية الولد ، وعدم ثقته بأبيه أو أمه ، ومؤداه إلى سقوط القدوة التي يحترمها ، ويراها شيئاً كبيراً .

فعن عبد الله بن عامر ـ رضي الله عنه ـ أن أمه دعته ، فقالت : تعال أعطك ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (ما أردت أن تعطيه ؟) قالت : تمراً ، فقال لها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أما إنك لو لم تعطه شيئاً لكُتبت عليه كذبة } رواه أبو داود[1] .

ـ الكذب في المزاح :

وهو ما دل عليه حديث الباب في حث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ المسلم على التخلي عن الكذب ، والتنحي عنه ولو كان من أجل المزاح ، وتسلية الآخرين ، أو لقصد جلب المسرة على النفس ، والترويح عنها ، فليس هذا السبيل الناجح ، أو الطريق السديد ، للوصول إلى كل هذا .

فالمعصية هي سبب لجلب الضيق ، واستجلاب الهم والغم : {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِن لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى }طه:١٢٤ .

فعلى المسلم أن يطرق البيوت من أبوابها الشرعية ، وسبلها المرعية ، ولقد كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يمازح أصحابه ، ويداعب أحبابه، ولكنه كما قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قالوا : يا رسول الله إنك لتداعبنا ! قال : (لا أقول إلا حقاً) رواه الترمذي[2].

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : المزاح بما يحسن مباح ، وقد مزح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم يقل إلا حقاً .

فالمزاح منه المحمود وهو الذي لا يشوبه ما كره الله ـ عز وجل ـ ، ومنه المذموم : وهو ما صاحبه ما يكرهه الله ـ عز وجل ـ ومنه الكذب فإن ذلك مما لا يحسن ، أو يباح ، ويشرع ، فهو طريق لكل شر، وسبيل للأحقاد ، والضغناء ، والشحناء ، ولذلك يقول الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ : " الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل" [3].

---

[1] - أخرجه أبو داود : (٤٣٣٩) .

[2] - رواه الترمذي :(١٩٩٠) ، وصححه الألباني في الصحيحة (١٧٢٦) .

[3] - الآداب الشرعية (لابن مفلح : (١ / ١٩) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعن بكر بن عبد الله قال : " كان أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتباذخون بالبطيخ ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال" [1].

وفي سنن الترمذي وأبي داود عن يعمر بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (ويل للذي يُحدث فيكذب ليضحك به القوم ، ويل له ، ثم ويل له) [2].

قال الإمام الصنعاني : { سبل السلام ٤ / ٥٦٣ } : " والحديث دليل على تحريم الكذب لإضحاك القوم ، وهذا تحريم خاص . ويحرم على السامعين استماعه إذا علموه كذباً ، لأنه إقرار على المنكر ، بل يجب عليهم الإنكار أو الانصراف من الموقف " أ.هـ .

ـ ما يجوز من الكذب :

عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط – رضي الله عنها – أنها سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً ، أو يقول خيراً) متفق عليه[3] .

زاد مسلم في رواية : قالت أم كلثوم : ولم أسمعه يُرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث : {الحرب ، والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها).

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ { الأذكار: ٣٣٦ ـ ٣٣٧ } : (فهذا حديث صريح في إباحة بعض الكذب للمصلحة ، وقد ضبط العلماء ما يباح منه . وأحسن ما رأيته في ضبطه ، ما ذكره الإمام أبو حامد الغزالي فقال : الكلام وسيلة إلى المقاصد ، فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعاً ، فالكذب فيه حرام لعدم الحاجة إليه ، وإن أمكن التوصل إليه بالكذب ، ولم يمكن الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً ، وواجب إن كان المقصود واجباً ، فإذا اختفى مسلم من ظالم وسأل عنه وجب الكذب بإخفائه ، وكذا لو كان عنده أو عند غيره وديعة ، وسأل عنها ظالم يريد أخذها وجب عليه الكذب بإخفائها ، حتى لو أخبر بوديعة عنده فأخذها الظالم قهراً ، وجب ضمانها على المودع المخبر ، ولو استحلفه عليها ، لزمه أن يحلف ويوري في يمينه ، فإن حلف ولم يور ، حنث على الأصح ، وقيل لا يحنث ، وكذلك لو كان مقصود حرب ، أو إصلاح ذات البين ، أو استمالة قلب المجني عليه في العفو عن الجناية لا يحصل إلا بكذب ، فالكذب ليس بحرام ،

---

[1] – أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم : (٢٦٦) ، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد : (٢٠١) .

[2] – أخرجه الترمذي:(٢٣١٥) ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب :(٢٩٤٤)

[3] – أخرجه البخاري: (٢٦٩٢) ، ومسلم : (٢٦٠٥) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذا إذا لم يحصل الغرض إلا بالكذب ، والاحتياط في هذا كله أن يوري ، ومعنى التورية أن يقصد بعبارته مقصوداً صحيحاً ليس هو كاذباً بالنسبة إليه ، وإن كان كاذباً في ظاهر اللفظ ، ولو لم يقصد هذا بل أطلق عبارة الكذب فليس بحرام في هذا الموضوع . قال أبو حامد الغزالي : وكذلك كل من ارتبط به غرض مقصود صحيح له أو بغيره ، فالذي له مثل : أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله ليأخذه ، فله أن ينكره ، أويسأله السلطان عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله أن ينكرها ، ويقول : ما زنيت ، أو شربت مثلاً ... وقد اشتهرت الأحاديث بتلقين الذي أقروا بالحدود الرجوع عن الإقرار ، وأما غرض غيره فمثل : أن يسأل عن سر أخيه فينكر ، ونحو ذلك ، وينبغي أن يقابل بين مفسدة الكذب ، والمفسدة المترتبة على الصدق ، فإن كانت المفسدة في الصدق أشد ضرر فله الكذب ، وإن كانت عكسه، أو شك حرم عليه الكذب ، ومتى جاز الكذب فإن كان المبيح غرضاً يتعلق بنفسه فيستحب أن لا يكذب . ومتى كان متعلقاً بغيره لم تجز المسامحة بحق غيره ، والحزم تركه في كل موضع أبيح إلا إذا كان واجباً } أ.هـ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)

الارتقاء في أعلى الجنة منقبة عظيمة ، ومزية جليلة ، ثمنها حسن الخلق ، فمكارم الأخلاق صفة الأنبياء ، والصديقين ، والصالحين ، وبحسن الخلق بعث الله محمداً . صلى الله عليه وسلم . فجاء بأخلاق ربانية ، وما من شريعة سماوية إلا وحثت على التخلق بالخلق الفاضل القويم ، وما من كتاب إلا وأرشد إلى حسن الأخلاق ، وما من رسول أرسله الله تعالى إلا ودعا إلى ملازمة محاسن الأخلاق ، وكرائم الخصال والفعال ، ومن رُزق الأخلاق ترأس وساد ، وأحبه العباد ، وفُتحت له القلوب

فإذا رزقت خليقة محمودة ... فقد اصطفاك مقسم الأرزاق

فالناس هذا حضه مالٌ وذا ... علم ، وذاك مكارم الأخلاق

والمال إن لم تدخره محصناً ... بالعلم ، كان نهاية الإملاق[1]

والعلم إن لم تكتنفه شمائل ... تُعليه ، كان مطية الإخفاق

لا تحسبن العلم ينفع وحده ... ما لم يتـــوج ربه بخلاق

وقد حث القرآن الكريم ، والرسول العظيم . صلى الله عليه وسلم . على حسن الخلق ، وأمر أتباعه وذويه بالتحلي بمكارم الأخلاق ، فهم أولى الناس، وأسعدهم بهذه الأخلاق .

. فضائل مكارم الأخلاق :

لمكارم الأخلاق فضائل كثيرة ، ومزايا عديدة تواترت بذكرها النصوص ، واستفاض أمرها في الأدلة الشرعية ومن فضائلها :

١ . مكارم الأخلاق سبب في دخول الجنة :

عن أبي هريرة . رضي الله عنه . قال : سئل رسول الله . صلى الله عليه وسلم . عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ فقال : (تقوى الله وحسن الخلق) ، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ؟ فقال : (الفم والفرج) رواه الترمذي وابن ماجة[2] .

---

[1] - الفقر .

[2] - أخرجه الترمذي : (٢٠٠٤) ، وابن ماجة : (٤٢٤٦) . انظر السلسلة الصحيحة للألباني : (٩٧٧) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢ . مكارم الأخلاق طريق إلى محبة الله للعبد:

عن أسامة بن شريك ـ رضي الله عنه . قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً) رواه الطبراني والحاكم[١].

٣. مكارم الأخلاق طريق الوصول إلى محبة الرسول:

عن جابر بن عبد الله . رضي الله عنهما . أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . قال : (إن من أحبكم إلى وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً) رواه الترمذي[٢].

٤ . مكارم الأخلاق أثقل شيء في الميزان يوم القيامة :

عن أبي الدرداء . رضي الله عنه . قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق) رواه أبو داود والترمذي[٣] .

٥ . مكارم الأخلاق سبب لمضاعفة الأجر والثواب :

عن عائشة . رضي الله عنها . قالت إن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال : (إن الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم) رواه أبو داود والحاكم[٤].

وعن أبي أمامة – رضي الله عنه– قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (إن الرجل ليدرك بحسن الخلق درجة القائم بالليل الظامئ بالهواجر) رواه الطبراني[٥].

٦ . مكارم الأخلاق من خير أعمال العباد:

عن أنس بن مالك . رضي الله عنه . أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . قال : (يا أبا ذر ، ألا أدلك على خصلتين ، هما أخف على الظّهر ، وأثقل في الميزان من غيرهما قال : بلى يا رسول الله ، قال : (عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فو الذي نفس محمد بيده ما عمل الخلائق بمثلها) رواه البزار[٦].

وعن أسامه بن شريك ـ رضي الله عنه ـ سئل النبي . صلى الله عليه وسلم . فقيل له : يا رسول الله ما خير ما أعطي الإنسان ؟ قال : (خلق حسن)[٧].

---

١ – أخرجه الطبراني : (٤٧١) ، والحاكم :(٤ / ٣٩٩ . ٤٠١٠) ، وهو في صحيح الجامع للألباني برقم : (١٧٩) .

٢ – أخرجه الترمذي : (٢٠١٨) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم : (٢٢٠١).

٣ – أخرجه أبو داود : (٤٧٩٩) ، والترمذي : (٢٠٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع : برقم : (٥٧٢١) .

٤ – أخرجه أبو داود : (٤٧٨٩) ، والحاكم : (١ / ٦٠) ، وانظر صحيح الجامع : (١٦٢٠) .

٥ – رواه الطبراني : (٧٧٠٩) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع : (١٦٢١) .

٦ – رواه البزار في كشف الأستار :(٤ / ٢٢٠) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم : (٤٠٤٨) .

٧ – رواه البخاري في الأدب المفرد : (٢٩١) ، وابن ماجة : (٣٤٣٦)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد:(٢٢٣).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٧. مكارم الأخلاق سبب لتعمير الديار ، وزيادة الأعمار :

عن عائشة . رضي الله عنها . قالت : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (صلة الرحم ، وحسن الخلق ، وحسن الجوار . يعمران الديار ، ويزيدان في الأعمار) رواه احمد[١] .

٨ . مكارم الأخلاق سبب في تأييد الله ونصره :

في الصحيحين من حديث عائشة . رضي الله عنها . في قصة بدء الوحي على رسول الله . صلى الله وسلم . : فقال لخديجة وأخبرها الخبر : (لقد خشيت على نفسي) فقالت له خديجة : كلا ، والله ما يخزيك الله أبداً ، وإنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق)[٢] [٣].

قال الإمام النووي . رحمه الله . (شرح مسلم ٢ / ١٦٠) : (قال العلماء . رحمهم الله .: معنى كلام خديجة . رضي الله عنها . أنك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق ، وكرم الشمائل ، وذكرت ضروباً من ذلك ، وفي هذا دلاله على أن مكارم الأخلاق ، وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء) أ.هـ .

٩. مكارم الأخلاق من صفات المؤمنين الكمَّل :

عن أبي هريرة . رضي الله عنه . أن رسول . صلى الله عليه وسلم . قال : (أكمل المؤمنين أيماناً أحسنهم أخلاقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم خُلقاً) رواه الترمذي وأبو داود[٤] .

وعن عبد الله بن عمرو . رضي الله عنهما . أن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال : (خياركم أحاسنكم أخلاقاً) رواه البخاري ومسلم[٥] .

وعن عبد الله بن عمر . رضي الله عنهما . أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال : " أفضل المؤمنين أحسنهم خلقاً " رواه الحاكم[٦] .

---

[١] -أخرجه أحمد : (٦ / ١٥٩) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم : (٣٧٦٧) .

[٢] - والكل :أي صاحب العيلة والفاقة ، والمعدوم الفقير ، وتقري :أي تكرم وتحسن .

[٣] - رواه البخاري : (٣) ، ومسلم : (١٦٠) .

[٤] - أخرجه الترمذي : (١٦٦٢) ، وأبو داود : (٤٦٨٢) ، وصححه الألباني في : الصحيحة برقم:(٢٨٤) .

[٥] - أخرجه البخاري : (٣٥٥٩) ، ومسلم : (٢٣٢١) .

[٦] - أخرجه الحاكم :(٤ / ٥٤٠) ، وهو في صحيح الجامع : (١١٢٨) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٠ . دعاؤه . صلى الله عليه وسلم . ربه أن يهديه لصالح الأخلاق:

عن أبي أيوب الأنصاري . رضي الله عنه . أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال : (اللهم اغفر ذنوبي وخطايا كلها ، اللهم أنعشني واجبرني ، اللهم أهدني لصالح الأعمال والأخلاق، فإنه لا يهدي لصالحها ، ولا يصرف سيئها إلا أنت) روه الحاكم[١] .

١١ . مكارم الأخلاق ركن من أركان البعثة النبوية :

عن أبي هريرة . رضي الله عنه . قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) . وفي رواية : (صالح الأخلاق) رواه البخاري في الأدب المفرد وأحمد والحاكم[٢] .

١٢ . وصية النبي . صلى الله عليه وسلم . لأصحابه بحسن الأخلاق:

عن أبي ذر ومعاذ بن جبل . رضي الله عنهما . قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها . وخالق الناس بخلقٍ حسن) رواه الترمذي[٣] .

١٣ . مكارم الأخلاق ترقي بصاحبها إلى الخيرية :

عن عبد الله بن عمرو . رضي الله عنهما . قالا : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً)[٤] .

وعلى كل فإن مكارم الأخلاق هي أخلاق المؤمنين ، وأجل منازل الصالحين ، وعروة من أوثق عرى الإيمان ، وباب سعادة المرء في الدنيا والآخرة .

ولقد كان النبي . صلى الله عليه وسلم . أسوة حسنة تتحرك بين الناس بمكارم الأخلاق يرونه قائماً على إتمامها خير قيام حتى استحق أن يزكيه الله في كتابه ، ويشهد له فقال . سبحانه وتعالى . : {وَإِنكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }القلم :٤[٥] .

---

[١] - أخرجه الحاكم : (٣ / ٤٦٢) ، وهو في صحيح الجامع برقم : (١٢٦٦) .

[٢] - أخرجه أحمد : (٢ / ٣٨١) ، والبخاري في الأدب المفرد : (٢٧٣) ، والحاكم :(٢ / ٦٣١) ، وصححه الألباني في الصحيحة : (٤٥) .

[٣] - أخرجه الترمذي : (١٩٨٧) ، وهو في صحيح الجامع برقم : (٩٧) .

[٤] تقدم تخريجه قريباً .

[٥] راجع (مكارم الأخلاق)للعلامة ابن عثيمين ، و(مكارم الأخلاق في ضوء الكتاب والسنة) لسليم الهلالي ، و(الأخلاق بين الطبع والتطبع) للأخ الفاضل الحبيب فيصل الحاشدي .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أخلاق غير المسلمين:

(يورد كثير من الناس أن أهل الغرب أحسن أخلاقاً منا في تعاملهم ، وبيعهم وشرائهم بينما تجد الغش والكذب ، وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب منتشراً بين صفوفنا نحن المسلمين .

وللرد على هذه الفرية نقول : قال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ (البينة على المدعي) ، وما كان مشهوراً بين الناس من أن الغرب عندهم حسن الخلق في المعاملة فهذا ليس بصحيح ، فإن عندهم من سوء المعاملة ما يعرفه من ذهب إليهم ، ونظر إليهم بعين العدل والإنصاف دون النظر إليهم بعين الإجلال ، والإكبار فقد قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيبٍ كليلةٌ ❖❖ كما أن عين السخط تبدي المساويا

ولقد حدثني كثير من الشباب الثقات الذين ذهبوا إلى الغرب عن أفعال من أسوأ الأخلاق ، لكنهم هم إذا نصحوا فيما ينصحون فيه من البيع والشراء ، فليس لأنهم ذوو أخلاق ، وإنما لأنهم عباد مادة ، والإنسان كلما كان أنصح في معاملة من هذه المعاملات الدنيوية كان الناس إليه أقبل ، وإلى شراء سلعته ، وترويجها أسرع .

فهم لا يفعلون ذلك لأنهم كاملوا الأخلاق ، لكن لأنهم أصحاب مادة ، ويرون من أكبر الدعايات لتنمية أموالهم أن يحسنوا المعاملة ، من أجل أن يجذبوا إليهم الأعداد الكبيرة . وإلا فهم كما وصفهم الله ـ عز وجل ـ : (إِن الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ) البينة:٦ . ولا أظن أحداً أصدق وصفاً من الله ـ عز وجل للكافرين ـ ، فإنهم شر البرية ، وكيف يرجى خيرٌ مقصود لذاته من قوم وصفهم الله بأنهم شر البرية ، لا أعتقد أن ذلك يكون أبداً ، لكن ما يوجد فيهم من الصدق والبيان ، والنصح في بعض المعاملات ، إنما هو مقصود لغيره عندهم ، وهو الحصول على المادة والكسب ، وإلا فمن رأى ظلمهم وغُشهم واستطالتهم على الخلق في مواطن كثيرة ، عرف مصداق قوله تعالى : (أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ) البينة:٦ .

وأما بالنسبة لما وقع من كثير من المسلمين ، من الغش والكذب والخيانة في المعاملات فإن هؤلاء المسلمين نقصوا من إسلامهم وإيمانهم بقدر ما خالفوا الشريعة فيه من هذه المعاملات .

فلا يعني أن مخالفة بعض المسلمين وخروجهم عن إطار الشريعة في مثل هذه الأمور ، لا يعني ذلك النقص في الشريعة نفسها ، فالشريعة كاملة ، وهؤلاء الذين أساءوا إلى شريعة الإسلام ، ثم إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إخوانهم المسلمين ، هؤلاء أساءوا إلى أنفسهم فقط ، والعاقل لا يجعل إساءة العامل سوءاً في الشريعة التي ينتمي إليها هذا العامل .

ولذلك فإنني أرجو من جميع المسلمين أن تكون لهم حملة قوية في محاربة هذه الأمور التي لا يقرها الإسلام من الكذب ، والخيانة ، والغش ، والخداع ، وما أشبه ذلك .

فلا بد أن نبين للناس أن من كمال الدين كمال الخلق كما صح عن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال : (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً) .

وعلى هذا فكل من كان ناقص الخُلق فهو ناقص الدين ، فكمال الدين بكمال الخُلق ، ولذلك فإن تأثير كامل الخُلق على غيره من جَلبِهِ إلى الإسلام ، وإلى الدين أكبر من تأثير ذي الديانة السيئ الخلق ، فإذا وفق من كان قوياً في العبادة إلى كمال الخلق كان ذلك أحسن وأكمل).[1]

[1] - (مكارم الأخلاق :٤٣، ٤٤، ٤٥). للعلامة ابن عثيمين. رحمه الله تعالى. .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بيت في الجنة ، ورفعة الدرج لمن سد الفرج

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (من سد فرجة بنى الله له بيتاً في الجنة ، ورفعه بها درجة) رواه الطبراني[1] .

وأخرجه ابن ماجة بلفظ : (إن الله وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف ، ومن سد فرجة رفعه الله بها درجة)[2].

لقد دلنا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في هذا الحديث على عمل يسير لا يكلف المرء حمل الأثقال ، ولا السهر بالليل والناس نيام ، وإنما هي بضع خطوات يخطوها ليسد بها الفرج ، ليرفعه الله بها درجة ، ويبني له بيتاً في الجنة وهذه الفضيلة العظيمة ذات الثواب الجزيل ، لا يلتفت إليها كثير من المسلمين ، ولا يبالون بها ، بل إن بعضهم يتشاءم من فعل كهذا ، ويتعجب لماذا كل هذا الاهتمام .

واعلم ـ أخي الكريم ـ أن سد الفرج في الصف في الصلاة له أجر عظيم ، وثوابه كبير ، وإليك من سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يدل على ذلك ـ زيادة على حديثنا المتقدم آنفاً :

١ ـ الأمر النبوي بسد الفرج ، والخلل في الصفوف :

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (أقيموا الصفوف ، وحاذوا بين المناكب ، وسدوا الخلل[3] ، ولينوا بأيدي إخوانكم ، ولا تذروا فُرُجات للشيطان ، ومن وصل صفاً[4] ، وصله الله[5] ، ومن قطع صفاً[6] ، قطعه الله)[7].

٢ ـ أحب الخطى إلى الله :

---

[1] – أخرجه الطبراني في الأوسط حديث : (٥٩٠٣) ،وانظر الصحيحة للألباني : (١٨٩٢) .

[2] – أخرجه ابن ماجة :(٩٩٥) ، وهو في الصحيحة :(٢٥٣٢) .

[3] – الخلل : الفرجة بين الشيئين .مختار الصحاح :(١٠٧) .

[4] – يوقوقه فيه ، وسد فرجة منه .

[5] – برحمته ورفع درجته . (فيض القدير)

[6] – بأن كان فيه فخرج منه لغير حاجة ، أو جاء إلى الصف ، وترك بينه وبين من بالصف فرجة بلا حاجة (فيض قدير : ٢ / ٧٥) .

[7] – أخرجه أبو داود (٦٦٦)، والنسائي : (٨١٩) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب : (٤٩٥) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعن البراء بن عازب - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (إن الله وملائكته يصلون على الذين يلون الصفوف الأول ، وما من خطوة أحب إلى الله من خطوة يمشيها ليصل بها صفاً)[1].

٣. أعظم الخُطى أجراً:

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (خياركم ألينكم مناكب في الصلاة ، وما من خطوة أعظم أجراً من خطوة مشاها رجل إلى فرجة في الصف فسدها) رواه الطبراني[2] .

قال أبو داود : " (معنى لينو بأيدي إخوانكم) إذا جاء رجل إلى الصف فذهب يدخل فيه ، فينبغي أن يلين له كل رجل منكبيه ، حتى يدخل في الصف " .

واعلم - أخي الكريم - أن سد الفرج من تسوية الصفوف - تلك العبادة العظيمة التي أمرنا بها النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان يهتم بها بالغ الاهتمام ، ويحذر من تركها والتفريط فيها في غير ما حديث ، وفي غير ما مناسبة ، ومن ذلك :

١. أمره - صلى الله عليه وسلم - بتسوية الصفوف :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (أحسنوا إقامة الصفوف في الصلاة) رواه احمد[3] .

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - مرفوعاً : (سووا صفوفكم فإن تسوية الصفوف من تمام الصلاة) رواه مسلم[4].

٢ . حثه - صلى الله عليه وسلم - على التشبه بالملائكة في صفوفها :

عن جابر بن سمرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟ قال : يتُمون الصفوف الأول ويتراصون[5] في الصف) . وهذا الحديث يوضح كيفية إقامة الصفوف ، وإحسانها .

---

[1] - أخرجه أبو داود : (٥٤٣) ، وهو في صحيح الترغيب : (٥٠٧) .

[2] - رواه الطبراني في الأوسط : (١٣٤٩٤) ،، وهو في الصحيحة :(٢٥٣٣) .

[3] - أخرجه أحمد في مسنده : (١٠٢٩٥) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب :(٤٩٩).

[4] - أخرجه مسلم : (٤٣٣) .

[5] - يتراصون : يلزق بعضهم ببعض ويتضامون ، حتى لا يبقى بينهم فُرج : (بذل المجهود : ٤ /٣٢٨)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣ . عدم تسوية الصفوف يؤدي إلى اختلاف القلوب :

عن أبي مسعود . رضي الله عنه . قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (استووا ، ولا تخالفوا ، فتختلف قلوبكم) رواه مسلم [١] .

وعن النعمان بن بشير قال : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . يسوي صفوفنا ، حتى كأنما يسوي بها القداح)[٢].

قال الإمام النووي : (شرح مسلم :١٢٥/٤) : " معناه : يوقع بينكم العداوة والبغضاء ، واختلاف القلوب . كما تقول : تغير وجه فلان علي ، أي ظهر لي من وجهه كراهة لي ، وتغير قلبه علي ، لأن مخالفتهم في الصفوف مخالفة في ظواهرهم ، واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن " .

وعن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه . قال : (كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . يأتي ناحية الصف ، ويُسوي بين صدور القوم ، ومناكبهم ويقول : لا تختلفوا . فتختلف قلوبكم إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول) رواه أبو داود والنسائي[٣].

ومن خلال هذه الأحاديث تعرف تقصير بعض الأئمة من الاقتصار على قوله : (استووا) دون النظر في الصفوف، والسعي في تسويته ، وتنبيه المخالف في ذلك، والأمر بسد الفرج ، بل بعضهم يقول : استووا دون النظر أصلاً إلى المصلين ، حيث يكون متجهاً حين قولها إلى أمامه وهذا مخالف لهديه . صلى الله عليه وسلم . والذي كان يأتي الصف من نواحيه يمسح المناكب ، والصدور ، والعواتق فما كان رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يقول بلسانه : (استووا) ثم يكبر ويترك الخلل والفرجات . كما يفعل بعض إخواننا الأئمة الآن .

وكان عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . :(إذا مر بين الصفين قال : استووا ، حتى إذا لم ير فيهم خللاً ، تقدم فكبر)[٤].

وثبت عن سُويد بن غفلة أنه قال : (كان بلال يسوي مناكبنا ، ويضرب أقدامنا في الصلاة)[٥].

---

[١] - أخرجه مسلم : (٤٣٢) .

[٢] - القداح : هي خشب السهام حين تنحت وتبرى وأحدها قدح ، معناه يبالغ في تسويقها حتى تصير كأنما تقوم بها السهام لشدة استوائها واعتدالها .

[٣] - أخرجه أبو داود : (٦٦٤) ، والنسائي : (٨١١) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والتهريب :(٤٩٨).

[٤] - أخرجه البخاري : (٣٧٠٠) .

[٥] - أخرجه عبد الرزاق : (٢ / ٤٧ / ٢٤٣٥) ، وابن أبي شيبة :(٣٥٣٤) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بل لقد كان عمر وعثمان ـ رضي الله عنهما ـ يوكلان من يقوم بتسوية الصفوف معهما ، ففي مصنف عبد الرزاق عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يُوكل رجلاً بإقامة الصفوف ، ولا يكبر ، حتى يُخبر أن قد استوت الصفوف[1].

وجاء في الموطأ : "حدثني مالك عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال : كنت مع عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ فقامت الصلاة ، وأنا أكلمه في أن يفرض لي ، فلم أزل أكلمه ، وهو يسوي الحصباء بنعليه ، حتى جاءه رجال ، قد كان وكلهم بتسوية الصفوف ، وأخبروه أن الصفوف قد استوت ، فقال لي : استوي في الصف ، ثم كبر"[2].

البنيان المرصوص :

قال الله تعالى : {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ }الصف:٤.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ { التفسير ٤ / ٣٨٣ } : " قال قتادة : { كأنهم بنيان مرصوص } ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه ؟ فكذلك الله ـ عز وجل ـ لا يحب أن يختلف أمره ، وإن الله صف المؤمنين في قتالهم ، وصفهم في صلاتهم ، فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به " أ.هـ .

قال الشيخ حسين بن عودة العوايشة : (لقد آمنا بتسوية الصفوف إيماناً عميقاً ، غير أن هذا خارج المسجد ، لا داخله ، ألا ترى معي إبداع التسوية في الجيش والمدرسة ؟ !

هنا يقال : إنها رمز القوم ، والنظام ، والطاعة ، والرقي ! ولكنها في المسجد شكليات ، وقشور ، وتفاهات لا تجدي ولا تفيد ! .. لإنجاز معاملاتنا بسرعة في الدوائر والمؤسسات ، ولتجنب المشاكل والاختلافات ، لابد من النظام والاصطفاف ، أما أن تُحقق هذا في المسجد ، ليدرأ عنا الفُرقة والاختلاف فلا يُسأل عنه ، ناسين أو متجاهلين وعيد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذا)[3].

وقال : (ولننظر إلى واقع نعيشه ، وهو افتخار جيوش الأرض بجندها ، وقوتهم في عروضهم العسكرية ، من خلال حُسن الاصطفاف والترتيب ، فلا ترى عوجاً ولا خللاً ، والمسافات منتظمة مُنسقة ، والمناظر باهرة ، وترى الناظرين ، وقد أخذت ألبابهم ، وأخذتهم الدهشة وأذهلتهم .

وأما المدارس، فلا تسأل عن الاهتمام البالغ في تسوية الصفوف فيها ، وإقامتها وتنظيمها .

---

[1] - أخرجه عبد الرزاق في مصنفه : (٢٤٣٧ / ٢٤٣٩) .

[2] - أخرجه مالك في الموطأ : (١٠١/١) .

[3] - تسوية الصفوف وأثارها في حياة الأمة (ص: ١٤ ـ ١٥).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أليس أصحاب المساجد أولى الناس أن يهتموا بإقامة الصفوف ، وجودة تراصها ، كما تصف الملائكة عند ربها . سبحانه وتعالى . ؟! }[1] .

. وجوب تسوية الصفوف :

مما تقدم من الأدلة يتضح بجلاء ، وجوب تسوية الصفوف ، قال الإمام ابن حزم . رحمه الله . تعالى . في (المحلى : ٤/٧٥) : " تسوية الصف إذا كان من إقامة الصلاة : فهو فرض ، لأن إقامة الصلاة فرض ، وما كان من الفرض فهو فرض " .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله تعالى –(مجموع الفتاوى : ٢٣/٣٩٤): "ولو لم يكن الاصطفاف واجباً، لجاز أن يقف واحد خلف واحد، وهلم جرا ... " .

وقال الإمام الصنعاني- . رحمه الله . تعالى- في (سبل السلام ٢/٧٥) بعد ذكره عدة أحاديث في هذا الباب:" وهذه الأحاديث والوعيد الذي فيها دالة على وجوب ذلك ، وهو مما تساهل فيه الناس ..." .

. كيف تسوي الصفوف :

عن أنس . رضي الله عنه . قال : (وكان أحدنا يُلزقُ منكبه بمنكب صاحبه ، وقدمه بقدمه) رواه البخاري[2]

وفي رواية : (فلقد رأيت أحدنا يلصق منكبه بمنكب صاحبه ، وقدمه بقدمه ، فلو ذهبت تفعل هذا اليوم ، لنفر أحدكم كأنه بغل شموس).

وعن النعمان بن بشير . رضي الله عنه- : (فرأيت الرجل يلزق منكبه بمنكب صاحبه ، وركبته بركبة صاحبه ، وكعبه بكعبه) رواه أبو داود[3] .

فمما سبق يتبين أن تسوية الصفوف تعني :

١- إلصاق منكب المرء بمنكب صاحبه ، وقدمه بقدمه ، وركبته بركبته ، وكعبه بكعبه .

٢- مراعاة المحاذاة بين المناكب ، والأعناق ، والصدور ، بحيث لا يتقدم عنق على عنق ، ولا منكب على منكب ، ولا صدر على صدر .

---

[1] - (ص : ١٠) من المرجع السابق

[2] - أخرجه البخاري : (٧٢٥) .

[3] - أخرجه أبو داود : (٦٦٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وثبت عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : (حاذوا بين المناكب) [1] .وقوله : (وحاذوا بالأعناق) [2] .

النهي عن الصلاة بين السواري:

عن عبد الحميد بن محمود قال : (صليت مع أنس بن مالك يوم الجمعة ، فدفعنا إلى السواري ، فتقدمنا وتأخرنا ، فقال أنس : كنا نتقي هذا على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ) رواه أبو داود والنسائي[3] .

وفي رواية لمعاوية بن قرة عن أبيه قال : كنا نُنهى أن نصف بين السواري على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونُطرد عنها طرداً) رواه ابن ماجة [4] .

قال البيهقي : " وهذا ـ والله أعلم ـ لأن الأسطوانة تحول بينهم وبين وصل الصف "[5].

وقد ذهب الإمام أحمد وإسحاق والنخعي . وروى سعيد بن منصور في سننه النهي عن ذلك عن ابن مسعود وابن عباس وحذيفة[6] .

قال ابن سيد الناس : ولا يعرف لهم مخالف في الصحابة .

قال ابن العربي : ولا خلاف في جوازه عند الضيق ، وأما عند السعة فهو مكروه للجماعة ، فأما الواحد فلا بأس به ، وقد صلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ . في الكعبة بين سواريها انتهى .

---

[1] - تقدم تخريجه .

[2] - أخرجه أبوداود:(٦٦٧) ،والنسائي :(٨١٥) ، وانظر صحيح أبي داود :(٦٧٣) .

[3] - أخرجه أبو داود : (٦٧٣)، والنسائي : (٨٢١) ، وانظر الصحيحة : (٣٣٥) .

[4] - أخرجه ابن ماجة : (١٠٠٢) ، وهو في صحيح ابن ماجة للألباني : (٨٢١) .

[5] - انظر الصحيحة : (٣٣٥) .

[6] - نيل الأوطار : (٢ / ٢٤٢) وقد ذهب إلى جواز الصلاة بين السواري أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وابن النذر قياساً على الإمام والمنفرد ، قالوا :وقد ثبت أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم صلى بين ساريتين قال ابن رسلان :وأجازه الحسن وابن سيرين وكان سعيد بن جبير ، وإبراهيم التميمي ، وسويد بن غفلة يؤمون قومهم بين الأساطيل .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جزيل الأجر والعطاء لمن دخل السوق فقال الدعاء

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (من دخل السوق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحي ويميت ، وهو حي لا يموت بيده الخير ، وهو على كل شي قدير ، كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة ، وبنى الله له بيتاً في الجنة) رواه الترمذي وابن ماجة[1] .

لما كانت الأسواق مكان الغفلة ، وأبغض البقاع إلى الله ، وبها يرفع الشيطان رايته ، كان لذاكر الله هذه الأجور العظيمة ، والفضائل الكريمة .

قال الطيبي : خصه بالذكر لأنه مكان الغفلة عن ذكر الله ، والانشغال بالتجارة فهو موضع سلطنة الشيطان ، ومجمع جنوده ، فالذكر هناك يحارب الشيطان ، ويهزم جنوده ، فهو خليق بما ذكر من الثواب .انتهى[2] .

وفي الحديث استحباب عمارة أوقات وأماكن الغفلة بالطاعة ومثله ما جاء عند النسائي من حديث أسامة بن زيد ـ رضي الله عنه ـ قال : قلت لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، وأحب إن يرفع عملي وأنا صائم)[3] .

وكذلك العبادة في الفتن وما ورد من عظيم الأجر فيها وأنه كهجرة إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعن معقل بن يسار ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (العبادة في الهرج[4] كالهجرة إلي) رواه مسلم[5] .

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ (شرح مسلم : ٧١/١٨) : " وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها ، ويشغلون عنها ، ولا يتفرغ لها إلا أفراد } أ.هـ .

---

[1] - أخرجه الترمذي : (٣٤٢٩) ، وابن ماجة : (٢٢٣٥) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع : (٦٢٣١) وجاء من حديث عمر بن الخطاب دون ذكر (وبنى الله له بيتاً في الجنة) في الترمذي : (٣٤٢٨) في صحيح الترغيب : (١٦٩٤).

[2] - تحفة الأحوذي : (٩ / ٢٧٢)

[3] - أخرجه النسائي : (٢٣٥٧) وهو في صحيح النسائي للألباني : (٢٢٢١)

[4] - قال النووي (شرح مسلم : ١٨ / ١٧):(المراد بالهرج هنا الفتنة واختلاط الأمور بالناس).

[5] - أخرجه مسلم : (٢٩٦٥) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قلت : وكذلك هي في الأسواق ، وما يشتهر فيها من الغفلة عن ذكر الله تعالى ، فمن أجل ذلك كانت تلك المزايا لمن انتبه لذكر الله وعبادته ، في غفلة الناس وسباتهم ، وهؤلاء هم الذين قال الله . عزوجل . فيهم : {رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ }النور:٣٧.

وكانوا فعلاً الممتثلين لقول الله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }المنافقون: ٩ .

وفي وصفه هؤلاء الذين أُنسهم هو ذكر ربهم . تبارك وتعالى . . يقول العلامة ابن القيم . رحمه الله . تعالى . (مدارج السالكين ٢ / ٣١٥) : " وهو قوت قلوب القوم ، الذي متى فارقها ، صارت الأجساد لها قبوراً . وعمارة ديارهم التي تعطلت عنه صارت بوراً ، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق ، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم ، انتكست منهم القلوب ، والسبب الواصل ، والعلاقة التي كانت بينهم ، وبين علام الغيوب :

إذا مرضنا تداوينا بذكركم فنترك الذكر أحيانا فننتكسُ

به يستدفعون الآفات ، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات إذا أظلهم البلاء ، فإليه ملجؤهم ، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم . فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون ، ورءوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون ، يدع القلب الحزين ضاحكاً مسروراً ، ويوصل الذكر إلى المذكور ، بل يدع الذاكر مذكوراً " أ.هـ .

أبغض البلاد إلى الله :

عن أبي هريرة . رضي الله عنه . قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (أحب البلاد إلى الله مساجدها ، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها) رواه مسلم [1].

قال الإمام النووي . رحمه الله . (شرح مسلم : ٥ / ١٤٠) : " قوله (وأبغض البلاد إلى الله أسواقها) لأنها محل الغش والخداع ، والربا ، والإيمان الكاذبة ، وإخلاف الوعد ، والإعراض عن ذكر الله ، وغير ذلك مما في معناه " أ.هـ .

[1] - أخرجه مسلم : (٦٧١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ : (قال الطيبي : تسمية المساجد ، والأسواق بالبلاد خصوصاً ، تلميح إلى قوله تعالى : {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ }الأعراف:٥٨.

وذلك لأن زوار المساجد : {رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ }النور:٣٧.

وقُصاد الأسواق شياطين الجن والأنس من الغفلة ، والحرص، والشره ، وذلك لا يزيد إلا بعداً من الله ، ومن أوليائه ، ولا يورث إلا دنواً من الشيطان وأحزابه ، اللهم إلا من يغدو إلى طلب الحلال ، الذي يصون به عرضه ودينه . { غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إن اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } البقرة :١٧٣.

والأسواق معدن النوال ، ومكان الأرزاق ، والأفضال، وهي مملكة وضعها الله لأهل الدنيا ، يتداولون فيها ملك الأشياء ، لكن أهل الغفلة إذا دخلوها تعلقت قلوبهم بهذه الأسباب ، فاتخذوها دولاً فصارت عليهم فتنة فكانت أبغض البقاع من هذه الجهة ، وإلا فالأسواق رحمة من الله تعالى ، جعلها معاشاً لخلقه ، يُدَرُّ عليهم أرزاقهم فيها من قطر ، وقطر ، لتوجد تلك الأشياء عند الحاجة . لو لم يكن ذلك لاحتاج كلٍ منا إلى تعلم جميع الحرف ، والترحال إلى البلاد ليلاً ونهاراً ، فوضع السوق نعمة ، وأهل الغفلة صُدوا عن هذه الرحمة ، ودنسوا أنفسهم بتعاطي الخطايا فيه ، فصارت عليهم نقمة ، وأما أهل اليقين فهم وإن دخلوها ، قلوبهم متعلقة بتدبير الله ، فسلموا من فتنها ، ومن ثم كان المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدخل السوق ويشتري ويبيع } ا.هـ[1].

وقال الطيبي : " وإنما قرن المساجد بالأسواق مع وجود ما هو شر منها من البقاع ؛ ليقابل بين معنى الالتهاء ، والاشتغال ، وأن الأمر الديني يدفعه الأمر الدنيوي " .

وقال ابن بطال (شرح البخاري ٦ / ٢٤٩): " هذا إنما خرج على الأغلب ، لأن المساجد يذكر فيها اسم الله ، والأسواق قد غلب عليها اللفظ ، واللهو ، والاشتغال بجمع المال والتكالب على الدنيا من الوجه المباح وغيره ، وأما إذا ذُكر الله في الأسواق فهو من أفضل الأعمال " أ.هـ .

وقال الملا علي القاري ـ رحمه الله ـ (مرقاة المفاتيح :٢ /٣٧٤) : " وهذا بطريق الأغلبية ، وإلا فقد يقصد المسجد بقصد نحو الغيبة ، وقد يدخل السوق بطلب الحلال ، ولذا قيل : كن ممن يكون في السوق

[1] - فيض القدير : (١ / ١٧١)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقلبه في المسجد ، لا بالعكس فالجمع بين القلب والقالب في المسجد أكمل . ولا شك أن المساجد محل التقرب إلى الله تعالى والأسواق محل أفعال الشياطين ، من الحرص ، والطمع ، والخيانة ، والغفلة " أ.هـ .

قال أبو عبد الله المالكي المعروف بابن الحاج في (المدخل : ٦٩/٤) : (وينبغي له ألا يكثر من الجلوس في السوق إلا أن تدعو ضرورة شرعية إلى ذلك لأن السوق محل عامة الناس غالباً ممن لا علم عنده ، ومحل الشياطين فينبغي للإنسان ألا يكثر من ذلك . اللهم إلا أن يكون مرجوعاً إليه فيما يأمر به ، أو ينهى عنه ، فجلوسه والحالة هذه رحمة بأهل السوق سيما في حق معارفه وإخوانه إذ بسبب جلوسه في السوق تتبين به المصالح والمفاسد وقد يكون أهل السوق ، أو بعضهم غافلين هنا ، فينتبهون إليه بسببه) أ.هـ .

معركة الشيطان:

عن سلمان ـ رضي الله عنه . قال :(لا تكونن إن استطعت ، أول من يدخل السوق ، ولا آخر من يخرج منها ، فإنها معركة الشيطان ، وبها ينصب رايته) رواه مسلم[1] هكذا

وعند البزار عن سلمان عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : إن ....الحديث

قال الإمام النووي . ـ رحمه الله ـ تعالى ـ (شرح مسلم :٧/١٦): " قوله ـ في السوق : {إنها معركة الشيطان } : قال أهل اللغة : المعركة ـ بفتح الراء ـ موضع القتال لمعاركة الأبطال بعضهم بعضاً فيها مصارعتهم ، فشبه السوق وفعل الشيطان بأهلها ، ونيله منهم بالمعركة ، لكثرة ما يقع فيها من أنواع الباطل ، كالغش ، والخداع ، والأيمان الخائنة ، والعقود الفاسدة ، والنجش ، والبيع على بيع أخيه ، والشراء على شرائه ، والسوم على سومه ، وبخس المكيال والميزان .

قوله : { وبها ينصب رايته } : إشارة إلى ثبوته هناك ، واجتماع أعوانه إليه، للتحرش بين الناس وحملهم هذه المفاسد المذكورة ونحوها، فهي موضعه ، وموضع أعوانه ، والسوق تؤنث وتذكر ، سميت بذلك لقيام الناس ، فيها على سوقهم" أ.هـ .

قال القرطبي (التفسير٣٢٦/٧) وهو يعلق على ما ذكره عن قول بعض أهل العلم : أنه لا يدخل إلا سوق الكتب والسلاح ، قال : " قلت : ما ذكرته مشيخة أهل العلم فنعما هو فإن ذلك خالٍ عن

[1] - أخرجه مسلم : (٢٤٥١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النظر إلى النسوان ومخالطتهن ، إذ ليس بذلك من حاجتهن . وأما غيرهما من الأسواق فمشحونة منهن ، وقلة الحياء قد غلبت عليهن ، حتى ترى المرأة في القيساريات وغيرهن قاعدة متبرجة بزينتها ، وهكذا من المنكر الفاشي في زماننا هذا . ونعوذ بالله من سخطه " أ.هـ .

قلت - أبو مالك- : فكيف لو رأى الإمام القرطبي - رحمه الله . زماننا هذا ، وما وصلت إليه كثير من نساء المسلمين من الخراجات الولاجات ، اللاتي لا عمل لديهن إلا المزاحمة للرجال في الأسواق بل وبعضهن لا عمل لها إلا تطويف السوق من أوله إلى آخره ، تعرض نفسها للرجال ، قد كشفت عن مفاتنها ، ولبست من اللباس ما يفوق التبرج الذي تحدث عنه الإمام - رحمه الله تعالى ،. وتُحادث الباعة بكل جرأة ودون أي مسكة حياء ، كأنه أخوها أو أبوها ، بل أقول : لكأنه زوجها . نسأل الله العافية ، والستر على عورات المسلمين .

آداب وأحكام لمن يرتاد الأسواق أو يعمل فيها :

. القيام بحقوق الطريق:

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه . أن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال : (إياكم والجلوس في الطرقات) فقالوا : يا رسول الله مالنا من مجالسنا بُد نتحدث فيها . فقال: (إذا أبيتم إلا المجلس فاعطوا الطريق حقه) قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : (غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر) متفق عليه[1] .

ووردت روايات أخرى تُضاف إلى الخمس المذكورة ،وقد ذكرها العلامة الألباني في سلسلته وإليك نص كلامه .

قال – رحمه الله – (السلسلة الصحيحة - (ج ٦ / ص ٩) :

(فإنه في الصحيحين وغيرهما وفي مسلم من حديث أبي طلحة دون قوله : (وإرشاد الضال) . وعند أحمد من حديث أبي سعيد زاد فيه :(وكف الأذى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). وفي رواية لأحمد: عن أبي سعيد به لكنه ذكر مكان كف الأذى : (وأرشدوا السائل). ولفظ أبي طلحة : (غض البصر، ورد السلام،وحسن الكلام). وورد عن أبي هريرة بلفظ : (غض البصر ،وإرشاد ابن السبيل،وتشميت العاطس إذا حمد الله ،ورد التحية) . وفي حديث البراء بلفظ : (فردوا السلام ،وأعينوا المظلوم ،واهدوا السبيل) . وفي حديث ابن عباس ولفظه : (فردوا

[1] - رواه البخاري : (٢٤٦٥)، ومسلم : (٢١٢١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السلام ،وغضوا البصر ،واهدوا السبيل ،وأعينوا على الحمولة) وفي حديث سهل نحوه بلفظ : (قالوا : وما حق المجالس ؟ قال : ذكر الله كثيرا وأرشدوا السبيل وغضوا الأبصار). وفي حديث وحشي بلفظ : (فردوا السلام ،وغضوا من أبصاركم، واهدوا الأعمى)، ــ ووقع في الفتح الأغبياء وهو الأقرب لمعنى سائر الأحاديث ــ وأعينوا المظلوم).

فمن مجموع هذه الروايات تجتمع عدد من حقوق الطريق :

١ -غض البصر ،٢ - كف الأذى ،٣ - رد السلام ٤ -الأمر بالمعروف ، ٥ -النهي عن المنكر،٦ - إرشاد الضال ، وهداية السائل والأعمى ٧ - حسن الكلام، ٨ -إعانة المظلوم

٩ - الإعانة على الحمولة ١٠ - ذكر الله كثيرا،١١ - تشميت العاطس.

وشاهدنا من هذا الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم -جعل تشميت العاطس من حقوق الطريق .

. إفشاء السلام :

صح عن ابن عمر. رضي الله عنهما . أنه قال : " إن كنتُ لأخرج إلى السوق ومالي إلا أن أسلم ، ويُسلم علي "[١].

وإفشاء السلام طريق لتآلف القلوب واجتماعها ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة . رضي الله عنه . قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شي إن فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم) رواه مسلم[٢].

قال الإمام النووي : (شرح مسلم : ٢ / ٣٠) : " والسلام : أول أسباب التآلف ، ومفتاح استجلاب المودة ، وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض ، وإظهار شعارهم ، المميز لهم من غيرهم من أهل الملل ، مع ما فيه من رياضة النفس ، ولزوم التواضع ، وإعظام حرمات المسلمين " .

. غض البصر :

وغض البصر مأمور به الرجال والنساء ، كما في كتاب رب الأرض والسماء ، إذ يقول تعالى : {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِن اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء

---

[١] - أخرجه ابن أبي شيبه : (٨ / ٤٥٠) .

[٢] - أخرجه مسلم : (٥٤) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }النور:٣٠. ٣١ .

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ : (التفسير ٧/ ٢٣٦) : " البصر هو الباب الأكبر إلى القلب ، وأعمر طريق الحواس إليه ، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته ، ووجب التحذير منه ، وغضه واجب عن جميع المحرمات ، وكل ما يخشى الفتنة من أجله " أ.هـ .

وقال ابن القيم (الداء والدواء : ١٠٦) : " والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان ، فإن النظرة تولد خطرة ، ثم تولد الخطرة فكرة ، ثم تود الفكرة شهوة ، ثم تولد الشهوة إرادة ، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة ، فيقع الفعل ولا بد ، ما لم يمنع منه مانع ، وفي هذا قيل : الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده " أ.هـ.

قلت : من أكثر الأماكن عرضة لأن يطلق المسلم بصره ، ويترك العنان لناظريه ، هي الأسواق والتي يكثر فيها المتبرجات ، والكاسيات العاريات ، واللاتي قل حياؤهن ، وذهبت غيرة أهلهن ، لاسيما الأسواق التي تتاجر بما يخص النساء ، فلذلك ينبغي للمسلم أ ن يحرص على غض بصره ، وعدم فلتان قلبه . فاللهم ثبتنا على دينك .

<u>حسن المعاملة :</u>

عن جابر بن عبد الله . رضي الله عنهما . أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . قال : (رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع ، وإذا اشترى ، وإذا اقتض) رواه البخاري [1] .

وعن حذيفة . رضي الله عنه . قال : سمعت رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يقول: (إن رجلاً كان فيمن كان قبلكم أتاه الملك ليقبض روحه ، فقيل له : هل عملت من خير ؟ قال : ما أعلم .

قيل له : انظر ، قال: ما أعلم شيئاً غير أني كنت أبايع الناس في الدنيا وأجازيهم ، فأُنظر الموسر ، وأتجاوز عن المعسر ، فأدخله الله الجنة) متفق عليه[2] .

---

[1] - أخرجه البخاري : (٢٠٧٦) .

[2] - أخرجه البخاري : (٣٤٥١)، ومسلم : (١٧٣٤) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتاجر الذي يحسن معاملة الناس ، ينال محبتهم وثقتهم ، ويكون هذا سبباً ، لإنفاق سلعته ، ورواج تجارته ، وقبل هذا أو ذاك ، هو ممتثل لأمر ربه ، منقاد لخالقه ، متأسٍ برسول الله . صلى الله عليه وسلم ..

. الصدق في المعاملة :

الصدق خصلة حميدة ، يحبها الله ورسوله . صلى الله عليه وسلم . وهي منجاة للعبد من عذاب الله تعالى . قال تعالى : {قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنهارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } المائدة :١١٩.

فلذا كان لزاماً على المؤمن أن يتصف بالصدق لاسيما في بيعه وشرائه . فعن حكيم بن حزام . رضي الله عنه . قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بُورك لهما في بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما) متفق عليه [١] .

فالمخاطب بهذا الحديث البائع والمشتري على حد سواء ، وهما مأموران بالتحلي بالصدق في بيعهما.

. لا تكن سخابا في الأسواق :

عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص . رضي الله عنهما . قلت : أخبرني عن صفة رسول الله . صلى الله عليه وسلم . في التوراة : قال : أجل إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن :{ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ، ومبشراً ، ونذيراً ، وحرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، ويفتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غُلفاً } رواه البخاري [٢] .

وعن عائشة . رضي الله عنها . قالت: (لم يكن . صلى الله عليه وسلم . فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً [٣] في الأسواق) رواه أحمد والترمذي في الشمائل [٤] .

وعن عبد الله بن عمرو . رضي الله عنهما . أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال : (إياكم وهيشات الأسواق) [١] .

---

[١] - أخرجه البخاري : (٢٠٧٩) ، ومسلم : (١٥٣٢) .

[٢] - أخرجه البخاري : (٢١٢٥) .

[٣] - قال ابن منظور (لسان العرب : ١ / ٥٢١ ، ٤٦١ . س خ ب) : (السخب : الصياح والجلبة وشدة الصوت واختلاطه).

[٤] - أخرجه أحمد : (٦ / ٢٣٦) ، والترمذي في شمائله : (٣٣٢) . انظر مختصر الشمائل : (٢٩٨).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال النووي ـ رحمه الله ـ (شرح مسلم ٤ / ١٢٥) : " قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (إياكم وهيشات الأسواق) هي بفتح الهاء وإسكان الياء ، والشين المعجمة ، أي اختلاطها والمنازعة ، والخصومات ، وارتفاع الأصوات ، واللفظ ، والفتن التي فيها } أ.هـ .

تحريم أكل أموال الناس بالباطل :

إن الإسلام حرم الاعتداء على المسلم في عرضه ، ونفسه ، وماله ، وأعلن ذلك الصادق المصدوق ـ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حجة الوداع فقال : { إن دماءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ، في بلدكم هذا } متفق عليه[٢].

والله ـ عزوجل ـ يقول : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أنفُسَكُمْ إن اللّهَ كأن بِكُمْ رَحِيماً } النساء :٢٩.

فأكل أموال الناس بالباطل ، متفشية في الأسواق ، ومن منكراتها العظام ، وله صور وأقسام يجهلها كثير من الباعة ، وبعضهم عن عمد يقع في الحرام ، فكان من الواجب على البائع ، والتاجر إذا دخل السوق للبيع ، والصفق أن يكون ورعاً تقياً عنده من العلم ما يكفيه من أمور بيعه وشراءه حتى لا يقع في مخالفة ، أو يأكل مالاً حراماً من غير حله ـ وهناك صور من البيع الحرام التي يقع فيها كثير من الناس كالغش والربا وبيع النجش[٣] وغيرها من البيوع الكثيرة المحرمة التي يجب على الباعة تعلمها ، ومعرفة فقهها لتكون السلامة لأموالهم وتجارتهم . فاللهم فقهنا في الدين ، وعلمنا التأويل .

ـ كثرة الحلف في البيع :

كثرة الحلف في البيع مما نهى الله عنه ورسوله ، وما يصنعه بعض الباعة من إنفاق سلعتهم بالحلف هو من هذا القبيل ، ويكون أشر وأعظم ، إذا كانت الإيمان كاذبة ، والأقسام فاجرة .

قال الله ـ عزوجل ـ : {وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً إنمَا عِندَ اللّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }النحل:٩٥.

روى البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً أقام سلعة ، وهي في السوق ، فحلف بالله لقد أعطى بها ما لم يُعط ، ليُوقع فيها رجلاً من المسلمين ، فنزلت : {إن الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ

---

[١] ـ أخرجه مسلم : (٤٣٢) ، وأبو داود : (٦٧٤) ،.وابن ماجة (٩٧٦) ، والنسائي : (٨٠٧ ، ٨١٢) .

[٢] ـ أخرجه البخاري : (١٥١٦) ، ومسلم : (١٢١٨) .

[٣] ـ هو إن يزيد في ثمن السلعة من لا يريد شرائها ليغري المشتري بالزيادة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }آل عمران:٧٧.[١].

وعن أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (إياكم وكثرة الحلف في البيع فإنه ينفق ثم يمحق) رواه مسلم [٢].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : { الحلف منفقة للسلعة ممحقةً للبركة } متفق عليه[٣].

وعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : { ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المسبل ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب } رواه مسلم[٤] .

واعلم ـ أخي الكريم ـ أن رزقك بيد الله ، والله ـ عز وجل ـ هو من يسوق لك الأرزاق ، ويأتيك بالمشترين ، وهو من يوفق لكل هذا ، فلا يحملك استبطاء الرزق أن تطلبه بمعصية الله، فعليك بالضوابط الشرعية، فبها يُبارك لك في رزقك وإن كان قليلاً ، ثم اعلم أن الدنيا زائلة لا بقاء لها وكما يقال : (إنما الطمع في طاعة الله) .

{إِن الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }آل عمران: ٧٧ .

---

[١] - أخرجه البخاري : (١٩٨٢) .

[٢] - أخرجه مسلم : (١٦٠٧) .

[٣] - أخرجه البخاري : (١٩٨١) ، ومسلم : (١٦٠٦) .

[٤] - تقدم تخريجه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من عاد مريضاً أو زار أخاً ، تبوأ من الجنة منزلاً

.عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه منادٍ أن طبت وطاب ممشاك ، وتبوأت من الجنة منزلاً) رواه الترمذي وابن ماجة[1].

إن من خير الخطى خطوة يمشي بها العبد إلى أخ مريض ، فيعوده ويواسيه في بلوته ، وأخرى يزور فيها أخاً له في الله .

ما جمعهما إلا التحاب في الله ، فزاره لله وفي الله ، ليس من وراء زيارته تلك أي أغراض دنيوية ، أو مصالح دنية.

فكان بذلك طيب النفس ، وطيب الممشى ، ثم كانت نهاية هذه الخطى إلى جنة المأوى ، ومنزل في درجاتها العُلى .

عيادة المريض:

إن المؤمن إذا أصابه المرض ، ونزل به البلاء ، احتاج إلى من يعوده ليواسيه ، ويزوره ليسليه ، وجعل الباري اللطيف في الشرع الحنيف . زيارة المريض وعيادته من حقوق المسلمين بعضهم مع بعض ولقد كانت من أخلاق النبي ـ صلى الله عليه وسلم – عيادة المرضى ، وتفقد أحوالهم فمن ذلك :

١- عن زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ قال : (عادني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من وجع كان بعيني) رواه أبو داود[2].

٢- عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال : (جاءني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعودني ليس براكب بغل ولا برذون) رواه البخاري [3]

٣- عن أم العلاء - رضي الله عنها – قالت : عادني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا مريضة فقال : (ابشري يا أم العلاء ، فإن مرض المسلم يُذهب الله به خطاياه كما تذهب النار خُبث الذهب والفضة) . رواه أبو داود[4] .

---

[1]- أخرجه الترمذي :(٢٠٠٨)، وابن ماجة :(١٤٤٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب: {٢٥٧٨} .

[2]- أخرجه أبو داود :{٣١٠٢} ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود : {٢٧١٠٦} .

[3]- أخرجه البخاري :{٥٦٦٤} .

[4]- أخرجه أبو داود : { ٣٠٩٢} ، وهو في الصحيحة للألباني برقم :{ ٧١٤} .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤- عن سعد بن أبي وقاص . رضي الله عنه . قال: (عادني النبي . صلى الله عليه وسلم – عام حجة الوداع من مرض أشفيت منه على الموت) متفق عليه[١] .

٥- عن أنس بن مالك . رضي الله عنه . (أن غلاماً من اليهود كان يخدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فمرض فأتاه يعرض عليه الإسلام فأسلم) رواه البخاري[٢] .

٦- عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : (لما أُصيب سعد بن معاذ يوم الخندق رماه في الأكحل، فضرب عليه رسول الله . صلى الله عليه وسلم – خيمة في المسجد ليعوده من قريب) رواه البخاري ومسلم[٣] .

٧- عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أنه قال : كنا جلوساً مع رسول الله . صلى الله عليه وسلم - إذ جاءه رجل من الأنصار فسلم عليه ، ثم أدبر الأنصاري ، فقال رسول الله . صلى الله عليه وسلم - : (يا أخا الأنصار كيف أخي سعد بن عباده ؟) فقال : صالح ، فقال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (من يعوده منكم ؟) فقام وقمنا معه ، ونحن بضعة عشر ، ما علينا نعال ولا خفاق ولا قلانس ، ولا قمص ، نمشي في تلك السباخ[٤] حتى جئناه : فاستأخر قومه من حوله ، حتى دنا رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وأصحابه الذين معه } رواه مسلم[٥] .

٨- عن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - أن ابنة للنبي . صلى الله عليه وسلم . أرسلت إليه وهو مع النبي . صلى الله عليه وسلم . ، وسعد وأبي بن كعب - نحسب – أن ابنتي قد حضرت فا شهدنا ، فأرسل إليها السلام ، ويقول : (إن لله ما أخذ وما أعطى ، وكُل شيء عنده مسمى ، فلتحتسب ولتصبر) فأرسلت تقسم عليه ، فقام النبي . صلى الله عليه وسلم . وقمنا ، فرفع الصبي في حجر النبي . صلى الله عليه وسلم – ونفسه تقعقع ، ففاضت عينا النبي . صلى الله عليه وسلم - : فقال له سعد ما هذا يا رسول الله ؟ ، فقال : (هذه رحمة وضعها الله في قلوب من شاء من عباده . ولا يرحم الله من عباده إلا الرحماء) رواه البخاري ، وبوب عليه باب عيادة الصبيان[٦] .

---

[١]- أخرجه البخاري : { ٣٩٣٦}، ومسلم : (١٦٢٨).

[٢]- أخرجه البخاري : (١٣٥٦}.

[٣]- أخرجه البخاري : (٤٦٣}، ومسلم :(١٧٦٩).

[٤]- جمع سبخة : وهي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر .

[٥]- رواه مسلم : {٩٢٥}.

[٦]- برقم : {٥٦٥٥}.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذه الأحاديث بينت حرصه – صلى الله عليه وسلم – على عيادة المرضى من أصحابه من كبار وصغار، ورجال ونساء، بل حتى الكافر عاده النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعوه للإسلام .

الأمر بعيادة المريض :

١- عن البراء بن عازب – رضي الله عنهما – قال : (أمرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، وإبرار المقسم، ونصر المظلوم، وإجابة الداعي، وإفشاء السلام) متفق عليه[١] .

٢- وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم – : (عودوا المريض، وأطعموا الجائع، وفكوا العاني) رواه البخاري[٢] .

٣- وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال (حق المسلم على المسلم خمسٌ: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس) متفق عليه[٣] وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه على حديث البراء وأبي موسى الأشعري (باب وجوب عيادة المريض) قال الحافظ ابن حجر (الفتح :١١٢/١٠) : " كذا جزم بالوجوب على ظاهر الأمر بالعيادة . وقد تقدم حديث أبي هريرة في الجنائز: (حق المسلم على المسلم خمس فذكر منها عيادة المريض) ، ووقع في راوية لمسلم :(خمس تجب للمسلم على المسلم).

قال ابن بطال : (يحتمل أن يكون الأمر على الوجوب بمعنى الكفاية كإطعام الجائع، وفك الأسير، ويحتمل أن يكون للندب للحث على التواصل والألفة . وجمع الداودي بالأول، فقال: هي فرض يحمله بعض الناس عن بعض، وقال الجمهور : هي في الأصل ندب، وقد تصل إلى الوجوب في حق بعض دون بعض، وعن الطبري : تتأكد في حق من ترجى بركته، ونقل النووي الإجماع على عدم الوجوب[٤] يعني على الأعيان " أ.هـ .

وقد رجح العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ أن عيادة المريض فرض على الكفاية[٥] .

---

[١] – أخرجه البخاري : { ٦٢٣٥}، ومسلم :{ ٢٠٦٦} واللفظ له.

[٢] – أخرجه البخاري : { ٥٦٤٩}.

[٣] – أخرجه البخاري : {١٢٤٠} ،ومسلم : { ٢١٦٢ }.

[٤] – شرح مسلم ١:(٣٣/٤) .

[٥] – شرح رياض الصالحين :{١١٦٩/٢}.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فضل عيادة المريض:

١- عن ثوبان . رضي الله عنه . قال: قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . :(إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة[١] الجنة حتى يرجع ، قيل يا رسول الله وما خرفة الجنة ؟ قال : جناها) رواه مسلم[٢] .

٢- عن علي . رضي الله عنه . قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم - يقول : (ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي ، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريفاً في الجنة) رواه الترمذي[٣] وقال حديث حسن (والخريف :الثمر المخروف)، أي :المجتنى .

٣- عن أبي سعيد الخدري . رضي الله عنه . قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة : من صام يوم الجمعة ، وراح إلى الجمعة ، وعاد مريضاً ، وشهد جنازةً ، وأعتق رقبةً) رواه ابن حبان[٤] .

٤- عن أبي هريرة . رضي الله عنه . أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال : (إن الله . عزوجل - يقول يوم القيامة : (يا ابن آدم مرضت فلم تعدني - قال يا رب :كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ . قال : أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟...} الحديث رواه مسلم[٥] .

قال العلامة العثيمين (شرح الرياض :٢/ ١١٧١) : " المراد بالمرض مرض عبد من عباده الصالحين" ، وقال (٢/ ١١٧٠): " ففيه دليل على استحباب عيادة المريض " أ.هـ .

٥- عن معاذ . رضي الله عنه . قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - : (خمس من فعل واحدة منهن كان ضامناً على الله: من عاد مريضاً ، أو خرج مع جنازة ، أو خرج غازياً ، أو دخل

---

[١]- هي سكة بين صفين من نخل يختر من أيهما شاء أي يجتني ، وقال النووي : أي يئول به ذلك إلى الجنة واجتناء ثمارها } شرح مسلم :(١٦ /١١٩).

[٢]- رواه مسلم : { ٢٥٦٨}.

[٣]- رواه الترمذي : {٩٦٩} . والغدوة : مابين صلاة الصبح وطلوع الشمس . { والعشية } : من صلاة المغرب إلى العتمة، وقيل مابين الزوال إلى الغروب . انظر مختار الصحاح :(٢٣٠ .٢٤٨). والحديث في صحيح الجامع : {٥٧٦٧} .

[٤]- أخرجه ابن حبان في صحيحة : {١٩١/٤} ، وصححه الألباني في صحيح الجامع : {٣٢٥٢} .

[٥]- أخرجه مسلم : {٢٥٦٩}.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على إمام يريد تعزيره وتوقيره ، أو قعد في بيته فسلم الناس منه ، وسلم من الناس) رواه احمد والطبري[1] .

٦- عن عبد الرحمن بن عوف . رضي الله عنه . قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (عائد المريض في خرفة الجنة ، فإذا جلس عنده غمرته الرحمة) رواه البزار[2].

[1]- أخرجه أحمد :{٢٤١/٥} ، والطبري :{٣٨/٠٢} ، وصححه الألباني في صحيح الجامع : {٣٢٥٣}.

[2]- أخرجه البزار: { ١٠٣٦ } . وصححه الألباني في الصحيحة برقم : { ١٩٢٩ }.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

. آداب عيادة المريض:

وبعد أن علمنا فضل عيادة المريض وما فيه من الامتثال لأمر الله تعالى وأمر رسوله . صلى الله عليه وسلم . ، كان ينبغي للمؤمن أن يعلم الآداب التي يتحلى بها في عيادته للمريض ، فإن بعض الناس لا يحسن الأدب في ذلك ، مما يجعل المريض يتمنى أنه لم يزره ، أو يحل داره . ولذلك يقول الشعبي . رحمه الله . عيادة النوكى (الحمقى)أشد على المريض من وجعه[1] .

وهناك بعض الآداب التي ينبغي أن يراعيها المؤمن في عيادته للمريض :

١- الثناء على المريض بمحاسن أعماله ، وتذكيره بحسن الظن بالله تعالى:

عن عبد الله بن عباس . رضي الله عنهما . أنه قال لعمر بن الخطاب حين طُعن ، وكان يجزعه : يا أمير المؤمنين ولا كل ذلك قد صحبت رسول الله – صلى الله عليه وسلم - فأحسنت صحبته ثم فارقك وهو عنك راض ، ثم صحبت المسلمين ، فأحسنت صحبتهم ، ولئن فارقتهم لتفارقهم وهم عنك راضون ...} فقال عمر : ذلك من منّ الله تعالى .[2]

٢: الدعاء له ورقيته:

أ . عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما - : أ ن النبي . صلى الله عليه وسلم . دخل على أعرابي يعوده ، قال : وكان النبي - صلى الله عليه وسلم . إ ذا دخل على من يعوده قال: (لا بأس طهور إن شاء الله) رواه البخاري.[3]

ب . عن أبي سعيد الخدري . رضي الله عنه . : (أن جبريل أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال : يا محمد اشتكيت؟ قال: نعم ، قال: بسم الله أرقيك ، ومن كل شي يؤذيك ، من شر كل نفس أو عين حاسد ، الله يشفيك ، بسم الله أرقيك) رواه مسلم[4].

جـ . عن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان إذا عاد مريضاً يقول : (أذهب البأس ، رب الناس ، اشفه أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يُغادر سقماً) رواه مسلم[5] .

---

[1] - عيون الأخبار {٣ / ٤٤ }.

[2] - أخرجه البخاري : {٣٦٩٢}.

[3] - أخرجه البخاري : {٥٦٥٦}.

[4] - أخرجه مسلم : {٢١٨٦ }.

[5] - أخرجه مسلم : { ٢١٩١ }. باب استحباب عيادة المريض .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال ابن حجر (فتح الباري :١٠/ ١٩٥) : " أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط : أن يكون بكلام الله تعالى ،أو بأسمائه وصفاته ، وباللسان العربي ، أو بما يعرف معناها من غيره ، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى ، واختلفوا في كون الأخير شرطاً ، والراجح أنه لابد من الشروط الثلاثة "أ.هـ . وفي صحيح مسلم :(لا بأس بالرقي ما لم يكن فيه شرك)[١]

٣: تحقيق الجلوس ، وقلة الصخب عنده :

عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال : (من السنة تحقيق الجلوس ، وقلة الصخب في العيادة عند المريض . قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . لما كثر لفظهم وخلافهم : (قوموا عني) رواه البخاري[٢].

قال الحافظ : (فتح الباري : ١٠- ١١٣) : " ومن آدابها أن لا يطيل الجلوس حتى يضجر المريض ، ويشق على أهله ، فإن اقتضى ذلك ضرورة فلا بأس " أ.هـ.

٤: لا تنكد على المريض بكثرة الأسئلة :

بعض الناس إذا عاد مريضاً أكثر عليه من الأسئلة ، كأنه طبيب يعالجه ، مما يسبب الملل والضيق للمريض ، قال ابن قتيبة : وقع رجل من أهل المدينة فوثئت[٣] رجلاه فجعل الناس يدخلون عليه ويسألونه فلما أكثروا عليه وأضجر كتب قصته في رقعة ، فكان إذا دخل عليه عائد وسأله رفع إليه الرقعة[٤].

وروي أن نبطياً وقع في موضع عال فدخلوا يسألونه : كيف وقعت ؟ فلما أكثروا عليه اخذ جرة وألقاها من يده قال : هكذا وقعت .

وفكر وراع في العيادة حال من تعوده ولا تكثر سؤالاً تنكدِ

---

[١]- أخرجه مسلم : { ٢٢٠٠ } عن عوف بن مالك الأشجعي . رضي الله عنه . .

[٢] - أخرجه البخاري : { ١١٤ }.

[٣] - أصابها وهن لا يبلغ أن يكون كسر .

[٤] - عيون الأخبار :{ ٣ / ٤٧ }.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥. وضع اليد على جبهة المريض :

عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص قالت : (ثم وضع النبي – صلى الله عليه وسلم – يده على جبهته – تعني سعداً – ثم مسح يده على وجهه ، وبطنه : ثم قال : (اللهم اشف سعداً) رواه البخاري [١] .

قال الحافظ ابن حجر (فتح الباري :١٠/١٢٠) : " قال ابن بطال : في وضع اليد على المريض تأنيس له ، وتعرف لشدة مرضه ليدعو له بالعافية على حسب ما يبدوا له منه ، وربما رقاه بيده ومسح على ألمه بما ينتفع فيه العليل إذا كان العائد صالحاً)أ.هـ .

٦: أن يستغل الفرصة في توجيه المريض إلى ما ينفعه ، فيأمره بالتوبة والاستغفار ، والخروج من حقوق الناس :

وألا يتمنى الموت فإنه منهي عنه ، وأن يحثه على التداوي بالمشروع من الأدوية ، وينهاه برفق ولين بالبعد عن الحرام من الأدوية ، أو الذهاب إلى المشعوذين والكهان لقول رسول الله . صلى الله عليه وسلم .: (من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد . صلى الله عليه وسلم .) رواه الترمذي وأبوداو د وابن ماجة[٢]عن أبي هريرة . رضي الله عنه . .

ويحذره من تعليق التمائم والحروز الشركية التي تحتوي على استهانة بالقرآن الكريم ، ودعاء للجن والشياطين ففي حديث عقبة بن عامر أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (من علق تميمة فقد أشرك) رواه احمد [٣].

٧: توعية المريض في أمور دينه إن كان جاهلاً:

فبعض المرضى يجهل أمر صلاته وطهارته وما شابه ، وترد عليه إشكالات في ذلك ، فإن كان العائد طالب علم ، أخبره بما ينبغي أن يقوم به في طهارته وصلاته ، وينظر إلى الوضع الذي هو عليه ، فبحسبه يكون توجيهه .وهناك غير هذه الآداب ذُكرت في مواطنها من الشروح ، أو المؤلفات المستقلة بهذا الباب[٤] .

---

[١] أخرجه البخاري : { ٥٦٥٩ } باب وضع اليد على المريض .

[٢] رواه أبو داود : { ٣٩٠٤ } ، والترمذي : { ١٣٥ } ، وابن ماجة : { ٦٣٩ } وهو في صحيح الترغيب برقم : { ٣٠٤٧ } .

[٣] أخرجه أحمد ، { ٤ / ١٥٦ }، وصححه الألباني في الصحيحة : { ٤٩٢ }.

[٤] -انظر فتح الباري :{ كتاب المرض } ، وشرح مسلم للنووي : { كتاب السلام . باب الطب والمرض والرقي الجزء :١٤)، وشرح رياض الصالحين للعلامة العثيمين : { كتاب عيادة المريض المجلد الثاني) ، وسلسة الآداب الإسلامية { ١/ آداب عيادة المريض } ، وقد ألف في هذه الآداب والأحكام شيخنا الدكتور / عقيل المقطري في مؤلف منفرد سماه :{ آداب عيادة المريض } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفوز والظفر ببيت الحمد لمن صبر

عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم قال : (إذا مات ولد العبد ، قال الله تعالى لملائكته : قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : ماذا قال عبدي، فيقولون : حمدك واسترجع ، فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة : وسموه بيت الحمد) رواه الترمذي[1] .

إن الرضا بأمر الله والصبر على أقداره من أعلى المنازل ، وأرفع المراتب في دين الإسلام ، ومن أجل تلك اللحظات التي يفر فيها العبد إلى ربه ـ تبارك وتعالى ـ ، ويعلم أنه وحده مفرج الكرب ، وتحصيل الرضا يكون بأن تؤمن أن ما اختاره الله لك ، وقدره عليك هو أحسن شيء لك ، وأن تعترف بجهلك وتؤمن بعلم ربك واختياره لك ، وأن اختياره لك أولى ، وأخير وأفضل وأحسن من اختيارك لنفسك ، فما يدريك لو لم تفقد هذا الولد ماذا كان سيجري لك ؟ .

إذا ابتليت فثق بالله وارض به ... إن الذي يكشف البلوى هو الله

إذا قضى الله فاستسلم لقدرتهِ ... ما لامرئ حيلة فيما قضى الله

اليأس يقطع أحياناً بصاحبه ... لا تيأسنَّ فنعم القادر الله

وقال تعالى : { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ{١٥٥} الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ أنا لِلّهِ وَأنا إِلَيْهِ رَاجِعونَ{١٥٦} أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ{١٥٧} سورة البقرة . فيقول العبد : (إنا لله وإنا إليه راجعون) تفويض منه لله ، وأنه راضي بكل ما نزل به من المصائب .

وفي قوله :{ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ ... الآية } نعم من الله ـ عزوجل ـ للصابرين المسترجعين ، وصلاة الله على عبده : عفوه ، ورحمته ، وبركته ، وتشريفه إياه في الدنيا والآخرة[2].

وجاء عن الشافعي ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله :{ والثمرات } قال : المراد موت الأولاد ، وولد الرجل ثمرة قلبه[1].

---

[1]- أخرجه الترمذي : { ١٠٢١ }، وصححه الألباني في صحيح الجامع : { ٧٩٥ } .

[2]- تفسير القرطبي : { ١ / ٤٩٥ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهنالك أمور من تأملها عند مصابه هانت عليه مصيبته ، وخفت في نظره ، وقد ذكرها ابن القيم . رحمه الله . في كتابه (زاد المعاد: ١٨٩/٤ـ ١٩٥) وهي :

١- أن ينظر إلى ما أصيب به فيجدُ ربه قد أبقى عليه مثله أو أفضل منه ، وادخر له إن صبر ورضي ما هو أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة ، وأنه لو شاء لجعلها أعظم مما هي.

٢- أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب ، ولينظر يمنة فهل يرى إلا محنة ؟ ثم يعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة ؟ ، وأنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى ، إما بفوات محبوب ، أو حصول مكروه ، وأن شرور الدنيا أحلام نوم ، أو كظل زائل ، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً ، وإن سرت يوماً ساءت دهراً ، وإن متعت قليلاً منعت طويلاً ، ولا سرته بيوم سروراً إلا خبأت له في آخر شروراً ، قال ابن مسعود : لكل فرحة ترحة ، وما ملئ بيت فرحاً إلا ملئ ترحاً .

وقال ابن سيرين – رحمة الله عليه – : ما كان ضحك قط إلا كان من بعده بكاء .

٣- أن يعلم أن الجزع لا يردها – أي : المصيبة – بل يضاعفها وهو في الحقيقة من تزايد المرض .

٤- أن يعلم أن فوات ثواب الصبر والتسليم، وهو الصلاة ، والرحمة ، والهداية التي ضمنها الله على الصبر والاسترجاع أعظم من المصيبة في الحقيقة .

٥- أن يعلم أن الجزع يشمت عدوه ، ويسوء صديقه ، ويغضب ربه ، ويسر شيطانه ، ويحبط أجره ، ويضعف نفسه ، وإذا صبر واحتسب ، أرضى ربه ، وسر صديقه ، وساء عدوه، وحمل عن إخوانه ، وعزاهم هو قبل أن يعزوه ، فهذا هو الثبات والكمال الأعظم ، لا لطم الخدود ، وشق الجيوب ، والدعاء بالويل والثبور ، والسخط على المقدور .

٦- أن يعلم أن ما يعقبه الصبر هو الاحتساب من اللذة والمسرة أضعاف ما كان يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي عليه – ويكفي من ذلك : (بيت الحمد) الذي يُبنى له في الجنة على حمده لربه واسترجاعه ، فلينظر أي المصيبتين أعظم :مصيبة العاجلة ، أو مصيبة فوات بيت الحمد في جنة الخلد ، وفي الترمذي مرفوعاً : (ويود ناس يوم القيامة أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا لما يرون من ثواب أهل البلاء)[٢].

وقال بعض السلف :لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس .

---

[١] - تفسير القرطبي : { ١ / ٤٩٣ } .

[٢] - أخرجه الترمذي : { ٢٤٠٢ } عن جابر بن عبد الله ..رضي الله عنه . وهو في السلسلة الصحيحة للألباني : { ٢٢٠٦ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٧- أن يعلم أن الذي ابتلاه بها أحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاء ليهلكه به ، ولا ليعذبه به ، ولا ليجتاحه به ، وإنما افتقده ليمتحن صبره به ، ورضاه عنه ، وإيمانه ويسمع تضرعه وابتهاله ، وليراه طريحاً ببابه ، لائذاً بجانبه ، مكسور القلب بين يديه ، رافعاً قصص الشكوى إليه .

٨- أن يعلم أنه لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكبر ، والعجب ، والفرعنة ، وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً أو آجلاً ، فمن رحمة أرحم الراحمين أن يفتقده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حمية له من هذه الأدواء ، وحفظاً لصحة عبوديته واستفراغاً للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه فسبحان من يرحم ببلائه ، ويبتلي بنعمائه .

كما قيل:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

٩- أن يعلم أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة الآخرة ، يقبلها الله سبحانه ، وكذلك حلاوة الدنيا بعينها مرارة الآخرة ولأن ينشغل من مرارة منقطعة إلى حلاوة دائمة خيراً له من عكس ذلك ، فإن خفي عليك ذلك فانظر إلى قول الصادق المصدوق – صلى الله عليه وسلم . : (حفت الجنة بالمكاره ، وخفت النار بالشهوات) أ . هـ . باختصار .

وإذا أحسن الإنسان تلقي البلاء علم أنه نعمة عليه، ومنحة لا محنة . قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمة الله . : " مصيبة تقبل بها على الله خير لك من نعمة تُنسيك ذكر الله " .

وقال: (ما يكره المرء خيراً له مما يحب، لأن ما يكرهه يهيجه للدعاء ، وما يحبه يلهيه) .

ما ورد في فضل من مات له ولد واحتسبه :

١- عن معاذ بن جبل . رضي الله عنه . أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : { والذي نفسي بيده ، إن السقط ليجر أمه بسرره[١] إلى الجنة إذا احتسبته } رواه ابن ماجة[٢] .

٢- قال الإمام النووي (المجموع :٢٨٧/٥): " موت الواحد من الأولاد حجاب من النار ، وكذلك السقط" والله أعلم .

---

[١] - والسررُ : ما تقطعه القابلة من السرة { النهاية ٣ / ٩٩ } .

[٢] - أخرجه ابن ماجة : { ١٦٠٩ } ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم :(٧٠٦٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣- عن أنس بن مالك . رضي الله عنه . قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (ما من مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحِنثْ[١] إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم) رواه البخاري[٢] .

٤ . عن أبي هريرة . رضي الله عنه . أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم - قال : (لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد لا تمسه النار إلا تحِلة القسم) متفق عليه[٣] .

(تحلة القسم) قول الله تعالى : {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كان عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً }مريم:٧١

(والورود) هو العبور إلى الصراط، وهو جسر منصوب على ظهر جهنم عافانا الله منها[٤] .

٥ . عن أبي هريرة . رضي الله عنه . أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال: (يقول الله تعالى : (ما لعبدي المؤمن عندي جزاءُ إذا قبضت صفية من أهل الدنيا ، ثم احتسبه إلا الجنة) رواه البخاري[٥].

٦ - عن أبي سعيد الخدري . رضي الله عنه . أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم - :(جاء النساء فعلمهن مما علمه الله ، ثم قال : (ما منكن من امرأة تقدم بين يديها : من ولدها ثلاثة ، إلا كانوا لها حجاباً من النار) ، فقالت : امرأة : واثنين ؟ فقال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (واثنين) متفق عليه[٦] .

٤- عن أبي حسان قال : قلت لأبي هريرة . رضي الله عنه . إنه قد مات لي ابنان ، فما أنت محُدثي عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : نعم ، قال :(صغارهم دعاميض[٧] الجنة يلتقي أحدهم أبويه فيأخذ بثوبه ، أو قال بيده – كما أخذ بصنفة[٨] ثوبك هذا ، فلا ينتهي حتى يُدخله الله وأباه الجنة) رواه مسلم[٩] .

---

[١] - الحنث : الإثم والذنب ، وبلغ الغلام الحنث ، أي بلغ المعصية ، والطاعة بالبلوغ { مختار الصحاح : ٩٣ }

[٢] - أخرجه البخاري : { ١٢٤٨ } .

[٣] - أخرجه البخاري { ١٢٥١ } .

[٤] - رياض الصالحين مع شرح ابن عثيمين : { ٢ / ١٢١٢ } .

[٥] - أخرجه البخاري : { ٦٤٢٤ } .

[٦] - أخرجه البخاري : { ١٢٤٩ }، ومسلم : { ٢٦٣٣ } .

[٧] - دعاميض الجنة : أي صغار أهلها .

[٨] - أي بطرفه .

[٩] - أخرجه مسلم : { ٢٦٣٥ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥- عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : جاءت امرأة إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بابن لها ، فقالت : يا رسول الله ، إنه يشتكي، وإني أخاف عليه ، وقد دفنت ثلاثة ، قال : (لقد احتضرت بحِظار شديد من النار) رواه مسلم[1]. ومعناه: أي امتنعت بمانع وثيق.

٦- عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم ـ : (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة) رواه الترمذي[2].

[1] - أخرجه مسلم : { ٢٦٣٦ } .

[2] - أخرجه الترمذي : (٢٣٩٩) ، وصححه الألباني . انظر حديث رقم :(٥٨١٥)في صحيح الجامع .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من أخبار الصالحين:

١: محمد . صلى الله عليه وسلم .

- قصة ولده إبراهيم : عن أنس بن مالك . رضي الله عنه . – قال : دخلنا مع رسول الله . صلى الله عليه وسلم . على أبي سيف القين : وكان ظئراً[١] لإبراهيم ، فأخذ النبي . صلى الله عليه وسلم . إبراهيم فقبله وشمه ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود نفسه . فجعلت عينا رسول الله تذرفان. فقال له عبدالرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله ؟ فقال: (يا ابن عوف ، إنها رحمة) ثم أتبعها بأخرى. فقال . صلى الله عليه وسلم . : (إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون)[٢].

وكل أولاده . صلى الله عليه وسلم . ماتوا قبله إلا فاطمة ، ومع ذلك ما عرف عنه . صلى الله عليه وسلم . إلا الرضا بأمر ربه ، والتسليم لخالقه ، فهو إمام الصالحين ، وقدوة المؤمنين – عليه الصلاة والتسليم . .

- عن أسامة بن زيد قال : كنا عند النبي . صلى الله عليه وسلم - فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه ، وتُخبره أن صبياً لها في الموت . فقال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (ارجع إليها فأخبرها : أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شي عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب)[٣].

٢ . الفضيل بن عياض - رحمه الله . : لما مات ابنه علي ضحك ، وقال : " رأيت أن الله قد قضى، فأحببت أن أرضى بما قضى الله به ".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " حاله حال حسن بالنسبة إلى أهل الجزع ، وأما رحمة الميت مع الرضا بالقضاء وحمد الله تعالى ، كحال النبي . صلى الله عليه وسلم . فهذا أكمل . كما قال تعالى: { ثُمَ كان منّ الذَين آمنوا وَتَواصوا بالصَبرِ وتَوَاصواَ بالمرحمة }"[٤]. أ.هـ .

٣. عروة بن الزبير: من أفاضل التابعين وأخيارهم ، كان له ولد اسمه محمد من أحسن الناس وجهاً ، دخل على الوليد بن عبد الملك في ثياب جميلة ، فقال الوليد : هكذا تكون فتيان قريش ،

---

[١] - الظئر: هي المرضعة ولد غيرها ، وزوجها ظئر لذلك الرضيع ولفظه ظئر تقع على الذكر والأنثى .

[٢] - أخرجه البخاري : { ١٣٠٣ } ، ومسلم : { ٢٣١٠ } .

[٣] - الحديث تقدم قريباً .

[٤] - مجموع الفتاوى لابن تيمية {٥٨/١} .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولم يدعوا له بالبركة فقالوا : إنه قد أصابه بالعين ، فخرج محمد بن عروة من المجلس فوقع في إسطبل للدواب فلا زالت تطأه حتى مات[1] .

وورد عنه أنه قال : إنما ابتلاني ليرى صبري أفأ عارض أمره ؟ !

٤. مطرف بن عبد الله :أتاه قوم يعزونه ، في ابن له ، فخرج إليهم أحسن ما كان بشراً ، ثم قال : "إني لأستحي من الله أن أتضعضع لمصيبة "[2] .

[1] - صفة الصفوة لابن الجوزي :{ ٢ / ٨٧ } .

[2] - عدة الصابرين لابن قيم الجوزية : ص { ٩٤ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما يقول من فقد حبيبه وأصيب في ولده :

٢ قال تعالى : {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ أنا لِلّهِ وَأنا إِلَيْهِ رَاجِعونَ }البقرة:١٥٦ .

٣ وقد خص الله هذه الأمة بهذا الاسترجاع فلم يكن معروفاً عند الأمم قبلنا ، قال سعيد بن جبير ـ رحمه الله تعالى ـ : لم تعط هذه الكلمات نبياً قبل نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ولو عرفها يعقوب لما قال : { يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ }[١].

٤ وفي صحيح مسلم عن أم سلمة - رضي الله عنها – قالت : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول " إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي ، وأخلف لي خيراً منها " إلا أجره الله في مصيبته ، وأخلف له خيراً منها) قالت : فلما توفى أبو سلمة ، قلت كما أمرني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فأخلف الله لي خيراً منه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ[٢] وفي رواية : (فلما مات أبو سلمة . قالت : أي المسلمين خيرُ من أبي سلمة ؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ثم إني قلتها ، فأخلف الله لي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ).

---

[١] - تفسير القرطبي : { ١/ ٤٩٥ }.

[٢] - رواه مسلم : { ٩١٨ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النهي عن النياحة على الميت:

إن الأجر الذي يكتبه الله للمؤمن عند فقده ولده إنما هو بصبره واحتسابه، وأما من ناح وشق الجيوب، ولطم الخدود ، فهذا مما نهى عنه الشرع والأحاديث في ذلك كثيرة :

١- عن عبد الله بن مسعود – . رضي الله عنه . أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال : (ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية) متفق عليه[١]

٢- عن أم عطية - رضي الله عنها – قالت : (أخذ علينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم - عند البيعة ألا ننوح) متفق عليه[٢] .

٣- عن أبي مالك الأشعري . رضي الله عنه . أن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال : (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر في الأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة) وقال : (والنائحة إذا لم تتب قبل موتها ، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب)[٣]

٤- عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه . قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب ، والنياحة على الميت) رواه مسلم [٤]

٥- عن أبي بردة قال : (وجع أبو موسى . رضي الله عنه . فغُشي ، ورأسه في حجر امرأة من أهله، فأقبلت تصيح برنة ، فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً ، فلما أفاق قال : إني بريء ممن برىء منه رسول الله . صلى الله عليه وسلم . أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . برىء من الصالقة ، والحالقة ، والشاقة) متفق عليه.[٥]

{الصالقة } : التي ترفع صوتها بالنياحة والندب .

{ والحالقة } :التي تحلق رأسها عند المصيبة .

{ والشاقة } : التي تشق ثوبها .

---

[١] - أخرجه البخاري : { ١٢٩٢ } ، ومسلم : { ١٠٣ } .

[٢] - أخرجه البخاري : { ١٣٠٦ } ، ومسلم { ٩٣٦ } .

[٣] - أخرجه مسلم : { ٩٣٤ }.

[٤] - أخرجه مسلم : { ٦٧ } .

[٥] - أخرجه البخاري :{ بَاب مما ينهى من الحلق عند المصيبة } ، ومسلم : { ١٤٩ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بيت في ربض ووسط وأعلى الجنة فضل من الله ونعمة

عن فضالة بن عبيد يقول سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : (أنا زعيم ، والزعيم الحميل لمن آمن بي وأسلم وهاجر ببيت في ربض الجنة ، وببيت في وسط الجنة ، وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة ، وببيت في وسط الجنة ، وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة ، وببيت في وسط الجنة ، وببيت في أعلى غرف الجنة ، فمن فعل ذلــك فلم يدع للخير مطلباً ، ولا من الشر مهرباً يموت حيث شاء أن يموت) رواه النسائي وابن حبان والحاكم[1] .

من فضل الله على المسلم الذي جمع هذه الصفات أن يتمتع في فسيح الجنان ،في بيوتها ومنازلها ، فتارة في طرفها ، وأخرى في وسطها ، ثم إذا هو في أعاليها . والله لو جُمع نعيم الدنيا منذ خلقها الله إلى قيام الساعة ، فإنه لا يوازي هذا النعيم ، ولا يقرب منه فاللهم اجعلنا من أهل الفردوس الأعلى .

وقد ذكر النبي . صلى الله عليه وسلم . أربع خلال حتى يظفر المسلم بهذا النعيم ، وتلك المنزلة ، بل وضمنها له بقوله : (وأنا زعيم) والزعيم الضمين.

وهذه الأربع هي :

١- الإيمان برسول الله – صلى الله عليه وسلم - وتقدم الحديث فيما سبق عن هذه المسألة

٢- الإسلام : والإسلام هو دين الله المتين ، وحبله القويم وهو ملة الأنبياء ، والمرسلين ، في الأولين والآخرين :

أ / وهو الدين الذي اختاره الله لخلقه ، واصطفاه لعباده ، ورضيه لهم

قال تعالى : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِن اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }المائدة:٣.

---

[1] - أخرجه النسائي :{ ٣١٣٣} ، وابن حبان :{ ٤٦٩٠ } ،، والحاكم :{ ٢٣٣١} ، وصححه الألباني في صحيح الجامع : { ١٤٦٥ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ب/ الإسلام الدين الذي لا يقبل الله سواه :

قال تعالى : {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ }آل عمران : ٨٥

وقال تعالى :{ أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ }آل عمران : ٨٣.

وقال تعالى : { وَأَن هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }الأنعام : ١٥٣.

ج / دين الإسلام أشتمل على كل ما اشتملت عليه أديان الأنبياء وهو خلاصتها وخاتمتها :

قال تعالى : {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَن أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ }الشورى : ١٣.

د/ الإسلام دين التزكية والهداية :

قال تعالى : {لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كانوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ }آل عمران:١٦٤.

هـ/ دين يسر وسماحة :

قال تعالى : { هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ }الحج: ٧٨.

(وما خير رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً) [1]

فلم يطرق العالم دين أكمل ، ولا أشمل ، ولا أسهل من هذا الدين الحنيف قال تعالى : { يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }البقرة:١٨٦.

[1] - أخرجه البخاري :{ ٥٦٦١ }، ومسلم :{ ٤٢٩٤ }.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال تعالى : {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ }التغابن:١٦ ، وقال تعالى : {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا }البقرة:٢٨٦ .

و/ دين الإسلام أحب الأديان إلى الله تعالى :

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم – قال : { أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة } رواه احمد[١] .

[١]- أخرجه احمد: { ٢١٠٨} ، وصححه الألباني في صحيح الجامع : { ١٦٠ }.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

. الإسلام دين الأنبياء :

قال تعالى: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِن اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتم مُّسْلِمُونَ }البقرة:١٣٢.

ودعا به الخليل وابنه إسماعيل لهما ولذريتهما فقالا : {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنكَ أنت التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }البقرة: ١٢٨ .

وقال نوح . عليه السلام . : { وَأُمِرْتُ أَن أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ }يونس:٧٢ .، وقال تعالى : {وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ }يونس:٨٤ .

فالإسلام بمعناه العام يتناول كل شريعة بعث الله بها نبياً ، ولفظ المسلمين يتناول كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء قبل بعثة خاتم النبيين نبينا . محمد صلى الله عليه وسلم . : - فببعثته توحدت الديانة السماوية ، وشملت رسالته كل العالمين الجن والأنس ، وامتدت إلى آخر الدنيا . لا تبدل ، ولا تنسخ إلى يوم القيامة ، وأوجب الله على جميع الخلق اتباعه وطاعته . قال تعالى : {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِني رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } الأعراف:١٥٨ [١] .

{ ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون }:

لقد أمر المولى – عزوجل – ووصانا أن نتمسك بهذا الدين وأن نثبت عليه حتى تدركنا المنية ، ويأتينا الموت . فقال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتم مُّسْلِمُونَ }آل عمران:١٠٢ .

[١] – الخطب المنبرية للعلامة الفوزان : { ١ / ١٦ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما معنى إلا سلام ؟

الإسلام معناه : الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة ، والخلوص من الشرك .

قال تعالى : {وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً }النساء:١٢٥ ، وقال تعالى : {وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } لقمان :٢٢ ، وقال تعالى : { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأنعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ }الحج :٢٤

وإذا أطلق الدين فالمراد به الإسلام فالله . عزوجل . يقول : { إن الدين عند الله الإسلام } آل عمران :١٩ .

. أركان الإسلام :

عن عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال : (الإسلام أن تشهد ألا إله إ لا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً) رواه مسلم[١] .

عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال : (بُني الإسلام على خمس : شهادة إلا إله إلا الله ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وحج البيت) متفق عليه[٢].

قال الإمام النووي . رحمه الله . {شرح مسلم ١٥٢/١} : " ثم إن هذا الحديث أصل عظيم في معرفة الدين ، وعليه اعتماده ، وقد جمع أركانه . والله اعلم " أ.هـ.

---

[١] - أخرجه مسلم : { ٨ } .

[٢] - أخرجه البخاري : { ٨ } ، ومسلم :{ ١٦ }.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الهجرة :

الهجرة في اللغة : مأخوذة من الهجر : وهو الترك . قال ابن دقيق العيد ، . رحمه الله . { إحكام الأحكام :١٧- ١٨ } : " اسم الهجرة يقع على أمور ، الهجرة الأولى :إلى الحبشة عندما آذى الكفار الصحابة . الهجرة الثانية : من مكة إلى المدينة . الهجرة الثالثة : هجرة القبائل إلى النبي . صلى الله عليه وسلم . لتتعلم الشرائع ، ثم يرجعون إلى المواطن ويعلمون قومهم . الهجرة الرابعة : هجرة من أسلم من أهل مكة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم . ، ثم يرجع إلى مكة .الهجرة الخامسة : هجرة ما نهى الله عنه، ومعنى الحديث[١] يتناول الجميع" .

ووقعت الهجرة في الإسلام على وجهين :الأول :الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن كما في هجرتي الحبشة ، وابتداء الهجرة من مكة إلى المدينة ، الثاني : الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان ، وذلك بعد أن استقر النبي . صلى الله عليه وسلم – بالمدينة ، وهاجر إليه من أمكنه ذلك من المسلمين ، وكانت الهجرة إذ ذاك تختص بالانتقال إلى المدينة إلى أن فتحت مكة ، فانقطع الاختصاص وبقي عموم الانتقال من دار الكفر لمن قدر عليه باقياً[٢] فالهجرة من بلاد الكفر التي لا يستطيع المسلم إظهار دينه ، واجبة ، كهجرة المسلمين من مكة إلى الحبشة ، أو من مكة إلى المدينة .

وإذا كان المسلم يستطيع أن يظهر دينه وأن يعلنه ، ولا يجد من يمنعه في ذلك، فالهجرة هنا مستحبة[٣] .

قال الماوردي : " إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام ، فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها ، لما يرتجي من دخول غيره في الإسلام " .

وقال الحافظ : "من قدر على عبادة الله في أي موضع اتفق لم تجب عليه الهجرة منه ، وإلا وجبت " [٤] .

فالحكم يدور مع علته .

---

[١] - يريد حديث :(إنما الأعمال بالنيات).

[٢] - إتحاف القارئ بدرر البخاري :{ ٢ /١١ } .

[٣] - شرح الأربعين النووية لابن عثيمين :{ ص ١٧ } .

[٤] - فتح الباري : { ٧ / ٢٢٩ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هجرة أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم . من مكة إلى الحبشة :

لما اشتدت أذية كفار قريش للمستضعفين من المؤمنين ، ونال منهم المسلمون الضرب الشديد ، والإهانة البالغة ، وثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاء مكة إذا اشتدت الحر ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه ، ومنهم من يعصمه الله تعالى منهم .

فلما رأى رسول الله . صلى الله عليه وسلم - ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانة من الله . عزوجل - ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء - قال لهم : (لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه) فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب النبي . صلى الله عليه وسلم . إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة في الإسلام .

وكأن أول من خرج من المسلمين إلى الحبشة عشرة فيهم عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، فكانوا بها ، منهم من خرج بأهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل معه .

وكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً ، أو ولدوا بها ، ثلاثة وثمانين رجلاً [1] .

. الهجرة من مكة إلى المدينة :

لما أذن الله تعالى لنبيه – صلى الله عليه وسلم – في الحرب وذلك في قوله تعالى : {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } الحج: ٣٩ – ٤٠

ثم بايعه من بايعه من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه وأوى إليه من المسلمين ، أمر رسول الله . صلى الله عليه وسلم . أصحابه من المهاجرين من قومه ، ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، واللحاق بإخوانهم الأنصار ، فخرجوا جماعات واحدة إثر الأخرى ، وأقام

---

[1] - انظر البداية والنهاية :{ ٣ /٥٥ . ٥٧ }، وسيرة ابن هشام :{ ١ /١٦١ . ١٦٨ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسول الله . صلى الله عليه وسلم . بمكة ينتظر إلى أن يأذن له ربه في الخروج ، والهجرة إلى المدينة ، ولم يتخلف معه بمكة أحد ، من المهاجرين إلا من حُبس وفُتن ، إلا علي بن أبي طالب ، وأبو بكر الصديق – رضي الله عنهما .[1] ثم كان الإذن لرسول الله . صلى الله عليه وسلم - بالهجرة إلى المدينة والتي بنى فيها الدولة الإسلامية ، وشع منها النور ، في أصقاع الأرض ، وإنحاء المعمورة :{يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }الصف٨ .

هجرة ما نهى الله عنه:

ومن الهجرة ، هجر العبد ما نهى الله ورسوله عنه – وترك الذنوب والمعاصي ، خوفاً من الافتتان في وحل الآثام والإجرام ، وهروباً إلى الله ومولاه ، ملبياً أمره ومجتنباً نهيه بالقعود في بلد يعجز فيه عن عبادة ربه .

فكل هجرة إنما هي امتثال أمره . جل وعلا . ، واجتناب نهيه؛ فعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما- أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . قال : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) رواه البخاري[2].

وعن فضالة بن عبيد . رضي الله عنه . أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . قال : (المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم ، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب) رواه ابن ماجة[3] .

قال الحافظ ابن حجر . رحمه الله . (فتح الباري ١/٥٤) :: " قوله: (المهاجر) هو بمعنى الهاجر ، وإن كان لفظ المفاعل يقتضي وقوع فعل من اثنين ، لكنه هو للواحد كالمسافر ، ويحتمل أن يكون على بابه لأن من لازم كونه هاجرا وطنه مثلاً :أنه مهجور من وطنه ، وهذه الهجرة ضربان : ظاهرة وباطنة، فالباطنة ترك ما تدعوا إليه النفس الأمارة بالسوء والشيطان ، والظاهرة الفرار بالدين من الفتن . وكأن المهاجرين خوطبوا بذلك لئلا يتكلوا على مجرد التحول من دارهم حتى يمتثلوا أوامر الشرع ونواهيه ، ويحتمل أن يكون ذلك قيل بعد انقطاع الهجرة لما فتحت مكة تطيباً لقلوب من لم يدرك ذلك ، بل حقيقة الهجرة تحصل لمن هجر ما نهى الله عنه " أ.هـ .

وأما الجهاد في سبيل الله فقد تقدم الحديث عنه .

---

[1] - البداية والنهاية :{ ٣ / ١٣٧ وما بعده } ، وتهذيب سيرة ابن هشام :{ ١٠٩ . ١١٠ } .

[2] - أخرجه البخاري : { ١٠ } .

[3] - رواه ابن ماجة : { ٣٩٣٤ }، و صححه الألباني في صحيح الجامع :{ ٦٦٥٨ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من أذكار النوم مايكون سبباً لبناء بيت عند الحي القيوم

عن البراء بن عازب – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم . قال : (إذا اضطجع الرجل فتوسد يمينه ثم قال : اللهم إليك أسلمت نفسي ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت إليك ظهري ، ووجهت إليك وجهي ، رهبة منك ، ورغبة إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت ، ومات على ذلك بُني له بيت في الجنة ، أو بوئ له بيت في الجنة) رواه احمد[1].

وأصل الحديث : في الصحيحين عن البراء عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال: (إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل : اللهم إني أسلمت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت . وأجعلهن من آخر كلامك . فإن مت من ليلتك مُت وأنت على الفطرة) . قال : فرددتهن لأستذكرهن فقلت : آمنت برسولك الذي أرسلت، قال : (قل آمنت بنبيك الذي أرسلت)[2].

قال الإمام النووي . رحمه الله . (شرح مسلم: ٣٣/١٧) : " في هذا الحديث : ثلاث سنن مهمة مستحبة، ليست بواجبة إحداها : الوضوء عند إرادة النوم فإن كان متوضئاً كفاه ذلك الوضوء ، لأن المقصود النوم على طهور ، مخافة أن يموت في ليله ، وليكون أصدق لرؤياه ، وأبعد من تلعب الشيطان به في منامه ، وترويعه إياه ، الثانية : النوم على الشق الأيمن لأن النبي . صلى الله عليه وسلم . كان يحب التيامن، ولأنه أسرع إلى الانتباه، والثالثة : ذكر الله تعالى ليكون خاتمة عمله " أ.هـ .

قلت : النوم نعمة من نعم الله التي امتن بها على عباده ، قال تعالى : {وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ }الروم :٢٣ .

والنوم من رحمة الله تعالى بعباده حيث جعل لهم وقتاً يستريحون فيه بعد تعب النهار ، وكد العمل قال تعالى :{ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }القصص:٧٣ .

---

[1] - رواه احمد : { ٤ / ٢٩٦ } .

[2] - أخرجه البخاري : { ٢٤٧ } ، ومسلم : { ٢٧١٠ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال تعالى : {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً [1]وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً }الفرقان:٤٧

ولما كان النوم كذلك ، فإن من نعمه . تبارك وتعالى . كذلك أن شرع لنا آداباً وأحكاماً تتعلق به ، ليكون المؤمن على صلة بربه ، عامرة أوقاته كلها بذكر الله تعالى .

وإن الدعاء الذي رواه لنا البراء . فيما تقدم. مع ما فيه من الفضل والمثوبة ، إلا أنه كذلك دعاء عظيم ، ينبغي للمسلم أن يتأمل في دلالاته العظيمة ومعانيه الجليلة ، وينبغي عليه أن يحافظ عليه عند نومه ، ليظفر بعظيم موعود الله لمن حافظ عليه واعتنى به . قال شيخنا الفاضل عبدالرزاق بن الشيخ العلامة عبد المحسن العباد ــ حفظهما الله ــ (فقه الأدعية والأذكار:٣/٦٥ ــ٦٨) . :(فهذا الحديثُ العظيمُ يشتمل على بعضِ الآداب التي يَحسُنُ بالمسلم أن يُحافظَ عليها عند نومه، وقد أرشدَ ــ صلى الله عليه وسلم ــ أوَّلَ ما أرشد في هذا الحديث مَن أوَى إلى فراشه أن يتوضأ وضوءَه للصلاة، وذلك ليكون عند النوم على أكمل أحواله، وهي الطهارة، وليكون ذكرُه لله ــ عز وجل ــ عند نومه على حال الطهارة، وهي الحالُ الأكملُ للمسلم في ذكره لله ــ عز وجل ــ ، ثم وجَّه ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى أن ينامَ المسلمُ على شِقِّه الأيمن، وهي أكملُ أحوال المسلم في نومه، ثمَّ أرشده ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو على هذه الحال الكاملة أن يبدأ في مناجاة ربِّه ــ عز وجل ــ بذلك الدعاء العظيم الذي أرشد إليه ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ.

وإن ممَّا ينبغي أن يعتَنِيَ به المسلمُ في مثلِ هذا المقام أن يتأمَّلَ معاني الأدعية والأذكار المأثورة؛ ليكون ذلك أكملَ له في مناجاته لربِّه ــ عز وجل ــ ودعائه إياه.

وعندما نتأمَّل هذا الدعاء العظيم الوارد في هذا الحديث نجدُ أنه اشتمل من المعاني الجليلة ، والمقاصد العظيمة على جانب عظيم، يحسن بالمسلم أن يكون مستحضراً لها عند نومه.

وقوله: "اللَّهمَّ إني أسلمت نفسي إليك" أي: أنني - يا الله - قد رضيتُ تَمام الرِّضا أن تكون نفسي تحت مشيئتك، تَتَصرَّف فيها بما شئتَ وتقضي فيها بما أردتَ من إمساكها أو إرسالها، فأنت الذي بيده مقاليد السموات والأرض، ونواصي العباد جميعهم معقودةٌ بقضائك وقدرك تقضي فيهم بما أردتَ، وتحكم فيهم بما تشاء، لا رادَّ لقضائك ، ولا معقِّب لحكمك.

وقوله: "وفوَّضتُ أمري إليك" أي: جعلتُ شأني كلَّه إليك، وفي هذا الاعتماد على الله ــ عز وجل ــ والتوكل التام عليه، إذ لا حول للعبد ولا قوَّة إلاَّ به سبحانه وتعالى.

وقوله: "وألجأتُ ظهري إليك" أي: أسندتُه إلى حفظك ورعايتك لما علمتُ أنه لا سند يُتقوى به سواك، ولا ينفع أحداً إلاَّ حماك، وفي هذا إشارةٌ إلى افتقار العبد إلى الله ــ جل وعلا ــ في شأنه كلِّه في نومه، ويقظته ، وحركته ،وسكونه ، وسائر أحواله.

---

[1] - أي : راحة لأبدانكم بانقطاعكم عن الأشغال . تفسير القرطبي :{ ٧ / ٣٤٢ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقوله: "رغبةً ورهبة إليك" أي: أنني أقول ما سبق كلَّه وأنا راغبٌ راهب، أي: راغبٌ تمام الرغبة في فضلك الواسع وإنعامك العظيم، وراهبٌ منك ومن كلِّ أمر يوقع في سخطك، وهذا هو شأن الأنبياء والصالحين من عباد الله يجمعون في دعائهم بين الرَّغَب والرَّهَب، كما قال الله تعالى: {إِنَّهُمْ كانوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكانوا لَنَا خَاشِعِينَ}.

ثم قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ في هذا الدعاء: "لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك" أي: لا ملاذ ، ولا مهرَبَ ، ولا مَخْلَصَ من عقوبتك إلا بالفزع إليك ، والاعتماد عليك، كما قال تعالى: {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ}، وكما قال تعالى: {كَلاَّ لا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ}.

ثم قال: "آمنتُ بكتابك الذي أنزلت وبنبيِّك الذي أرسلت" أي: آمنتُ بكتابك العظيم القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تَنْزيلٌ من حكيم حميد، آمنت وأقررتٌ أنه وحيك ، وتَنْزيلك على عبدك ورسولك نبيِّنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وأنه مشتملٌ على الحق ، والهدى ، والنور، وآمنت كذلك بنبيِّك الذي أرسلتَ وهو محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ عبد الله ورسوله وخيرته من خلقه، المبعوث رحمةً للعالمين، آمنت به وبكلِّ ما جاء به، فهو ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا ينطق عن الهوى إن هو إلاَّ وحيٌ يوحى، فكلُّ ما جاء به فهو صدقٌ وحقٌّ.

وقوله: "الذي أرسلت" أي: إلى كافة الخلق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فبلَّغ الرسالةَ، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمَّة، وجاهد في الله حقَّ جهاده حتى أتاه اليقين.

ثم قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ مبيِّناً فضيلة هذا الدعاء وعظم الخير والفضل المترتب عليه "فإن مُتَّ مُتَّ على الفطرة" أي: على الإسلام، فالإسلام هو دين الفطرة، كما قال الله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث أنه قال "وإن أصبحت أصبتَ خيراً" أي: إن لَم تَمُت من ليلتك تلك أصبت في الصباح خيراً، ثواباً لك على اهتمامك بهذا الأمر.

وقد أرشد ــ صلوات الله وسلامه ــ عليه إلى أن يجعل المسلمُ هذا الدعاءَ في آخر الدعوات والأذكار التي يقولها المسلم عند نومه، لتكون هذه الكلمات آخر كلام المسلم عند نومه، ولهذا قال: "واجلعهنَّ آخرَ ما تقول".

وفي قول النَّبيِّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ للبراء لَمَّا ردَّد الدعاءَ أمامه من أجل استذكاره: "لا، وبنبيِّك الذي أرسلت" دليلٌ على أهميَّة التقيُّد بهذه الأذكار حسب ألفاظها الواردة؛ لكمالها في مبناها ومعناها.

فهذا دعاءٌ عظيم ينبغي على المسلم أن يحافظَ عليه عند نومه، ويتأمَّلَ في دلالاته العظيمة ومعانيه الجليلة؛ ليظفر بعظيم موعود الله لِمَن حافظ عليه واعتنى به، واللهَ الكريم نسأل أن يوفِّقنا وإياكم للمحافظة عليه والعناية به، وأن يوفِّقنا لكلِّ خير يحبه ويرضاه في الدنيا والآخرة).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أذكار أخرى للنوم :

لقد كان . صلى الله عليه وسلم . يواظب على عدد من الأذكار عند نومه ، وعند استيقاظه . صلى الله عليه وسلم – من ذلك :

١- عن حذيفة بن اليمان . رضي الله عنهما . قال : (كان النبي . صلى الله عليه وسلم . إذا أراد أن ينام قال : باسمك اللهم أموت[١] وأحيا ، وإذا استيقظ من منامه قال : الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا ، وإليه النشور) رواه البخاري[٢]

٢- عن أبي هريرة . رضي الله عنه . قال : كان رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول : (اللهم رب السموات ورب الأرض ، ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان ، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شي ، اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر) رواه مسلم[٣]

٣- عن أنس بن مالك . رضي الله عنه . أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . كان إذا أوى إلى فراشه قال : (الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا ، وكفانا وآوانا ، فكم ممن لا كافي له ولا مُؤوى) رواه مسلم[٤] .

٤- عن علي بن أبي طالب . رضي الله عنه . أن فاطمة . رضي الله عنها . أتت النبي . صلى الله عليه وسلم – تسأله خادماً ، فقال : (ألا أخبرك ما هو خير لك منه : تسبحين الله عند منامك ثلاثاً وثلاثين ، وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين ، وتكبرين الله أربعاً وثلاثين) قال علي . رضي الله عنه . :(فما تركتُها بعدُ) قيل : ولا ليلة صفين ؟ قال :(ولا ليلة صفين) متفق عليه[٥]

---

[١] – سمي النوم موتاً ، وهذا مما يذكر الإنسان بالموت الأكبر الذي هو نهاية كل إنسان ومثال كل حي إلا الحي الذي لا يموت .

[٢] – أخرج البخاري : { ٦٣٢٤ } .

[٣] – أخرجه مسلم : { ٢٧١٣ } .

[٤] – أخرجه مسلم : { ٢٧١٥ } وفي هذا الحديث تذكير للمسلم بنعمة ربه عليه، واصطفائه له بنعمة المطعم ، والمشرب ، والكفاية ، والإيواء ، في حين يفتقدها غيرهم ويتمناها ، بل منهم من يدركه حتفه في المجاعات المهلكة ، والقحط المفجع ، والبرد القارص .

[٥] – أخرجه البخاري : { ٥٣٦٢ } ، ومسلم :{ ٢٧٢٧ } .استدل أهل العلم بهذا الحديث على أن الذكر يعطي الذاكرة القوية في بدنه وصحته ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :(بلغنا أنه من حافظ على هؤلاء الكلمات لم يأخذه إعياء فيما يعانيه من شغل وغيره)، الوابل الصيب { ص : ٢٠٦ } . قلت : والله . عزوجل . يقول عن هود . عليه السلام . :(يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزيدكم قوة إلى قوتكم } هود:٥٢

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥- عن البراء بن عازب . رضي الله عنه . قال : كان النبي . صلى الله عليه وسلم . إذا أراد أن ينام وضع يده تحت خده الأيمن ويقول : { اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك } رواه البخاري في الأدب المفرد [١]

٦- عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – (أنه . صلى الله عليه وسلم . أمر رجلاً إن أخذ مضجعه قال : (اللهم خلقت نفسي ، وأنت توفاها ، لك مماتها ومحياها ، إن أحييتها فاحفظها ، وإن أمتها فاغفر لها ، اللهم إني أسألك العافية) فقال له الرجل : أسمعت هذا من عمر ؟ أسمعت هذا من عمر ؟ فقال : من خيرٍ من عمر ، من رسول الله . صلى الله عليه وسلم .). رواه مسلم [٢]

٧- عن أبي هريرة . رضي الله عنه . قال: قال النبي . صلى الله عليه وسلم . : (إذا أوى أحدُكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره ، فإنه لا يدري ما خلفه عليه ، ثم يقول : باسمك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه ، إن أمسكت نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فا حفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين) متفق عليه [٣] .

ومن أذكار النوم التي كان يقرأها . صلى الله عليه وسلم .:

١- عن عائشة . رضي الله عنها . (أن النبي . صلى الله عليه وسلم . كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما ، فقرأ فيهما : { قل هو الله أحد } ، و{ قل أعوذ برب الفلق } ، و { قل أعوذ برب الناس } ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، ويبدأ بهما على رأسه ووجهه ، وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات) رواه البخاري ومسلم [٤] .

٢- عن أبي هريرة . رضي الله عنه . في قصته مع الشيطان حين حراسته لزكاة رمضان : (إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي : { الله لا إله إلا هو الحي القيوم } حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح) ، فقال النبي . صلى الله عليه

---

[١] - أخرجه البخاري في الأدب المفرد :(١٢١٥) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم :(٢٧٥٤) .

[٢] - أخرجه مسلم : { ٢٧١٢ } .

[٣] - أخرجه البخاري : { ٦٣٢٠ } ، ومسلم : { ٢٧١٤ } .

[٤] - أخرجه البخاري : { ٥٠١٧ } ، ومسلم : { ٢١٩٢ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسلم . لأبي هريرة: (أما إنه قد صدقك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب مذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟) قال :لا ، قال : (ذاك الشيطان) رواه البخاري[1] .

٣- عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه . قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (الآيتان من آخر سورة البقرة ، من قرأهما في ليلة كفتاه) رواه البخاري ومسلم[2] .

ومعنى { كفتاه } :إي كفتاه من الآفات في ليلته .

٤- عن جابر بن عبد الله . رضي الله عنه . قال : كان النبي . صلى الله عليه وسلم . لا ينام حتى يقرأ بـ { تنزيل السجدة } ، و{ تبارك } رواه الترمذي[3] .

٥- عن فروة بن نوفل – . رضي الله عنه . – أنه أتى النبي . صلى الله عليه وسلم . فقال : يا رسول الله علمني شيئاً أقوله إذا أويت إلى فراشي قال : (اقرأ :{ قل يا أيها الكافرون } فإنها براءة من الشرك) رواه الترمذي[4] .

---

[1] أخرجه البخاري : { ٢٣١١ } .

[2] أخرجه البخاري : { ٤٠٠٨ } ، ومسلم : { ٨٠٨ } ،

[3] رواه الترمذي : { ٣٤٠٤ }، وانظر صحيح الجامع : { ٤٨٧٣ }

[4] رواه الترمذي : { ٣٤٠٣} ، وصححه الألباني انظر حديث رقم :(٢٩٢) في صحيح الجامع .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آداب النوم:

إن للنوم آداباً وأحكاماً فيها مصلحة دينية ، ودنيوية ، فهي إرشادات نبوية ، وتوجيهات محمدية ، منه . صلى الله عليه وسلم - ملؤها الشفقة ، والرحمة ومن ذلك :

١- الوضوء :

وورد هذا الأدب النبوي في حديث البراء بن عازب . رضي الله عنه ـ أن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال : (إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة) متفق عليه[١] .

قال ابن حجر (فتح الباري: ٣٥٨/١) : " ظاهره استحباب تجديد الوضوء لكل من أراد النوم لو كان على طهارة ، ويحتمل أن يكون مخصوصاً بمن كان محدثاً " أ.هـ .

وقد ذكر النووي (شرح مسلم: ٣٣/١٧) فوائد النوم على وضوء . فقال : " مخافة أن يموت في ليله ، وليكون أصدق لرؤياه ، وأبعد من تلعب الشيطان به في منامه ، وترويعه إياه " أ.هـ .

٢- الاضطجاع على الشق الأيمن:

وورد ذلك في حديث البراء المتقدم : (ثم اضطجع على شقك الأيمن) متفق عليه .

قال النووي . رحمه الله . - (شرح مسلم :٣٣/١٧) : { لأن النبي . صلى الله عليه وسلم – كان يحب التيامن ، ولأنه أسرع إلى الانتباه } أ.هـ .

وقال القاضي عياض – ـ رحمه الله . - :(إكمال المعلم شرح صحيح مسلم : ١٠١/٨) : " وأيضاً فإن في نومه على شقه الأيمن حكمة لسرعة انتباهه ، ولئلا يستغرقه النوم استغراقاً كلياً ، وذلك أن النائم إذا نام كذلك كان ميله – وهو في جهة اليسار - قلقاً معلقاً ، فكان الانتباه إليه أسرع ، والاستغراق منه أبعد . وإذا نام على شقه الأيسر كان مستقراً في جنبه فيستغرقه النوم كثيراً ، ولا ينتهي منه إلا بعد جهد " أ.هـ .

٣- نفض الفراش قبل النوم :

عن أبي هريرة . رضي الله عنه . قال : قال النبي . صلى الله عليه وسلم . : (إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره ، فإنه لا يدري ما خلفه عليه) متفق عليه[٢].

---

[١] وسبق تخريجه .

[٢] - سبق قريباً .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال النووي ـ رحمه الله ـ . (شرح مسلم :١٧/٢٤) : " داخلة الإزار طرفه ، ومعناه : أنه يستحب أن ينفض فراشه قبل أن يدخل فيه ، لئلا يكون فيه حية ، أو عقرب أو غيرهما من المؤذيات ، وأن ينفض ويده مستورة بطرف إزاره ، لئلا يحصل في يده مكروه إن كان هناك) أ.هـ .

٤- النهي عن النوم على البطن :

عن يعيش بن طِخفة الغفاري . رضي الله عنه ـ قال : قال أبي : " بينما أنا مضطجع في المسجد على بطني إذا رجل يُحركني برجله فقال : (إن هذه ضجعة يكرهها الله) قال : فنظرت فإذا هو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " . رواه أبو داود[١]

قال ابن سيرين : يكره للرجل أن يضطجع على بطنه.

قال العلامة أبو الطيب آبادي (عون المعبود : ٣/ ٣١١) : " وفي الحديث أن النوم على البطن لا يجوز ، وأنه ضجعة الشيطان " أ.هـ .

وقد جاء في حديث أبي ذر التصريح بأنها ضجعة أهل النار فعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال : مر بي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا مضطجع على بطني فركضني برجله : (يا جنيدب إنما هذه ضجعة أهل النار) رواه ابن ماجة[٢]

ويستثني من هذا النهي من كان له عذر كمرض وغيره ، قال العلامة العثيمين (شرح الرياض :٢/ ١١٢٠) : " لكن إذا كان في الإنسان وجع في بطنه ، وأراد أن ينام على هذه الكيفية لأنها أريح له ، فإن هذا لا بأس به ، لأن هذه حاجة " أ.هـ .

٥- النهي عن النوم على سطح ليس عليه حجار:

عن علي بن شيبان قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (من بات على ظهر بيت ليس عليه حجار ـ وفي راوية أخرى حجاب ـ فقد برئت منه الذمة) رواه أبو داود[٣] .

وفي هذا الحديث النهي الصريح عن النوم في سطوح المنازل ، وسقوف الأبنية التي ليس فيها ستر من حجارة أو غيره يمنع الإنسان من السقوط ، وكثير من الناس يقع في هذه المخالفة وخصوصاً في أيام الحر .

---

[١] - أخرجه أبو داود : { ٥٠٤٠ } ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب : { ٣٠٨٠ } .

[٢] - أخرجه ابن ماجة : { ٣٧٢٤ } ، وصححه الألباني **في المشكاة** : (**٤٧١٨** - ٤٧١٩ و ٤٧٣١) .

[٣] - أخرجه أبو داود : { ٥٠٤١ } ، وصححه الألباني في صحيح الجامع : { ٦١١٣ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكم قد سمعنا عن أشخاص يمشون في نومهم ، وآخرين يقومون من النوم بغفلة لا يدري ما أمامه . فحفاظاً على أروح الناس ، وحمايةً لدمائهم كان هذا النهي منه . صلى الله عليه وسلم . ، وقوله . صلى الله عليه وسلم . : (قد برئت منه الذمة) يريد أنه إذا مات فلا يؤاخذ بدمه ، وقيل: إن لكل من الناس عهداً من الله تعالى بالحفظ والكلاءة ، فإذا ألقى بيده إلى التهلكة انقطع عنه[1].

٦- غسل اليدين من الدسم قبل النوم:

عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال : (من نام وبيده غمر قبل أن يغسله ، فأصابه شيء ، فلا يلومن إلا نفسه)[2].

وعن أبي هريرة . رضي الله عنه . أن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال : (من بات وبيده غمر، فأصابه شيء ، فلا يلومن إلا نفسه)[3] .

والغمر : هو الدسم الذي يبقى من الأكل فلعله يصيبه شي من إيذاء الهوام والحشرات ، حين شمها لرائحة الطعام الذي في يده فتؤذيه ، فلذلك نهى المصطفى . صلى الله عليه وسلم . المسلم أن يبيت متسخ اليد ، وأمره بغسلها .

فالحمد لله الذي هدانا وجعلنا من أهل هذا الدين الحنيف ، والملة السمحاء الرحيمة .

---

[1] - عون المعبود : { ١٣ / ٣١٢ } .

[2] - أخرجه البخاري في الأدب المفرد : { ١٢١٩ } ، والطبراني في الأوسط :{ ٥٠٠ } ، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد : { ٩٢٩ }.

[3] - رواه أبو داود : { ٣٨٥٢ }، وابن ماجة ":{ ٣٢٩٧ } ، والترمذي :{ ١٨٦٠ }، وصححه الألباني في صحيح الترغيب : { ٢١٦٦ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قارئ القرآن الكريم والصعود في جنات النعيم

عن عبد الله بن بريده – عن أبيه قال : كُنتُ جالساً عند النبي . صلى الله عليه وسلم . فسمعته يقول : (تعلموا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرةً ، ولا يستطيعها البطلة) ثم سكت ساعة ثم قال: (تعلموا البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان ، وإنهما تُظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو غيابتان ، أو فرقان من طير صواف ، وإن القرآن يأتي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب ، فيقول له هل تعرفني ؟ فيقول : ما أعرفك ، فيقول : أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك بالهواجر ، واسهرت ليلك ، وإن كل تاجر من وراء تجارته ، وإنك اليوم من وراء كل تجارة ، فيُعطى الملك بيمينه ، والخلد بشماله ، ويضع على رأسه تاج الوقار ، ويُكسى والداه حُلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا ، فيقولان : بم كسينا هذا ؟ فيقال لهما : بأخذ ولدكم القرآن ، ثم يقال : اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها ، فهو في صعود، مادام يقرأ هذا كان ، أو ترتيلاً }[1]

في هذا الحديث فضائل عديدة لقراءة القرآن ، فمنها ما هو في فضائله إجمالاً ، ومنها ما يتعلق بسورة البقرة وآل عمران فقد جعل الله صورة البقرة حصناً حصيناً ضد البطله : وهم السحرة ، فأخذها بركة ، وتركها حسرة ، ثم انضم إليها بالفضل سورة آل عمران ، فهما الزهراوان[2] والغمامتان اللتان يستظل العبد بهما يوم القيامة .

و ينتقل النبي . صلى الله عليه وسلم . ليذكرنا الحوار الشيق بين قارئ القرآن ، والقرآن الذي يتمثل لصاحبه بصورة رجل شاحب ، وأن الجائزة الواحدة مما يُعطاه صاحب القرآن خير من الدنيا وما فيها ، فكيف إذا اجتمعت ، يعطى الملك بيمينه ، والخلد بشماله ، ويضع على رأسه تاج الوقار ، ومع هذا لا يُنسى والداه اللذين ربياه وعلماه هذا الخير ، فيكسى والداه حُلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا

[1] – أخرجه أحمد { ٥/ ٣٤٨ } ، وابن أبي شيبة : { ٢٩٤٣٩ } ،وقال الحافظ : { هذا إسناد حسن } المطالب العالية ، وقال البغوي في شرح السنة { ٣ / ١٧ } : هذا حديث حسنٌ غريب ، وقال ابن كثير { التفسير { ٣٣/١ } :حسن على شرط مسلم . وانظر السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني برقم {٢٨٢٩}

[2] – الزهراوان : المنيرتان يقال لك : منير زاهر ، والزهرة البياض النير .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويعود بنا رسول الله . صلى الله عليه وسلم . إلى قارئ القرآن وهو يبشر بذلك الخطاب الجميل ، والبشارات العظيمة : (اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها) .

فا للهم اجعلنا من أهل القرآن ، وبلغنا منازل أهله يا منان .

. فضل تلاوة القرآن :

لقد ورد في سنة النبي . صلى الله عليه وسلم – كثير من الأحاديث التي تبين علو منزلة صاحب القرآن وقارئه، اذكر في هذا الموضوع بعضاً منها ، لعل الهمم أن تشحذ ، وساعد الجد أن يُشمر:

١- عن أنس بن مالك . رضي الله عنه . أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . قال : (إن لله تعالى أهلين من الناس) قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : (أهل القرآن ، هم أهل الله وخاصته) رواه احمد وابن ماجة[١] .

٢- عن أبي سعيد الخدري . رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . قال : (أوصيك بتقوى الله تعالى ، فإنه رأس كل شي ، وعليك بالجهاد ، فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله تعالى ، وتلاوة القرآن ، فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض) رواه احمد[٢].

٣- عن عثمان بن عفان . رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . قال : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) رواه البخاري[٣]

٤- عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران) متفق عليه[٤] .

٥- عن عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . أن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال : (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع بها آخرين) رواه مسلم[٥].

---

[١] – أخرجه أحمد : { ١٢٠٣٧ } ، وابن ماجة :{ ٢١٥ } ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب :{ ١٤٣٢ } .

[٢] – أخرجه أحمد : { ١١٥٥١ } ، وصححه الألباني في صحيح الجامع : { ٢١٦٥ } .

[٣] – أخرجه البخاري : { ٥٠٢٧ } .

[٤] – أخرجه البخاري : { ٤٩٣٧ }، ومسلم : { ٧٩٨ } . والسفرة : هم الملائكة سمو سفرة لا نهم ينزلون بوحي الله ، وما يقع به الصلاح بين الناس ، كالسفير الذي يُصلح بين القوم .

[٥] – أخرجه مسلم : { ٨١٧ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٦- عن عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه . أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . قال : (من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف) رواه أبو نعيم[١] .

٧- عن عبد الله بن عمر. رضي الله عنهما . قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به أناء الليل وأناء النهار . ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه أناء الليل وأناء النهار) متفق عليه .[٢]

٨- عن عبد الله بن مسعود – قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول آلم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف) رواه الترمذي[٣] .

---

[١] - أخرجه أبو نعيم في الحلية : { ١٠٤٠٣ } ، والبيهقي في الشعب :{ ١٤٩٨ } ، وصححه الألباني في صحيح الجامع : { ٢٣٤٢ } .

[٢] - أخرجه البخاري : { ٥٠٢٥ } ، ومسلم :{ ٨١٥ } .

[٣] - أخرجه الترمذي : { ٢٩١٢ } ، وصححه الألباني : { ٣٣٢٧ } من الصحيحة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

. أحوال المسلمين مع القرآن:

لاشك أن هذا الكتاب هو حبل الله الممدود من ربنا إلينا ، من تمسك به هُدي ومن اعتصم به فاز .

وفي حديث أبي هريرة . رضي الله عنه . أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال : (ويجيء القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حلّه ، فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يا رب زده ، فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقول: يا رب ا رض عنه فيرضى عنه ، فيقول : اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة }رواه الترمذي[1] .

فهذه المنحة الربانية ، لمن قرأ القرآن وتمسك بهدي الرحمن ، والمتأمل في عصرنا هذا يرى بُعد كثير من المسلمين عن هدي القرآن ، وتعاليمه الربانية والله . عزوجل . يقول : {إِن هَـذَا القرآن يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَن لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً }الإسراء:٩.

فالقرآن يهدي للتي هي أقوم في السياسة ، والاقتصاد ، والقضايا الاجتماعية ، والأخلاقية ، يهدي للتي هي أقوم في جميع نواحي الحياة ، فما من أمة تتمسك به إلا فازت وظفرت ، وما من أمة تنحدر عن تعاليمه إلا ضلت وتخبطت في حياتها ، وذاقت كل ويل .

وإليك . أخي الكريم . بعض الأمور المخالفة التي أساء فيها المسلمون في تعاملهم مع القرآن ، وخالفوا القرآن من حيث يظن البعض أنهم يحسنون صنعاً ، وهم في الحقيقة يسيئون للقرآن نسأل الله العافية لنا ولهم :

١- البعد عن قراءته ، وهجر تلاوته :

قال تعالى : {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِن قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا القرآن مَهْجُوراً }الفرقان:٣٠ .

ومن أنواع هجر القرآن . هجر تلاوته ، فبعض المسلمين لا يعرف القرآن ، ولا ينظر في المصحف ، إلا في أحوال نادرة وأزمنة متأخرة ، فمنهم من يمر عليه الشهر ، لا يقرأ آية واحدة ، ومنهم من يمر عليه أكثر من ذلك ، حتى أن بعضهم لا يعرف القرآن إلا حين يجيء رمضان ، فإذا جاء رمضان نفض الغبار الذي كان على هذا المصحف المهجور طوال هذه الأيام والشهور ، ثم يهذه هذّ الشعر ، لا يتدبر في آياته ، أو يعيش مع عبره وعظاته .

ومن المسلمين . وللأسف الشديد . من لا يعرف من القرآن إلا غلافه ، أو يسمع أن هناك قرآناً ، لكنه لم يطالعه يوماً من الدهر ، رغم أنه يقرأ الصحف ، والمجلات ، ويطالع في القصص ،

[1] - أخرجه الترمذي : { ٢٩١٥ } ، وحسن الألباني في صحيح الجامع : { ٧٨٨٦ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والروايات من أخبار الشرق والغرب ، والعجم والعرب . ولكن بينه وبين القرآن حجاباً مستوراً فا للهم رحماك.

٢- اتخاذ القرآن للتآكل ، والترزق به :

عن عمران بن حصين . رضي الله عنه . أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . قال : (اقرءوا القرآن، وسلوا الله به . قبل أن يأتي قوم يقرءون القرآن فيسألون به الناس) رواه احمد[١]

وفي راوية للبيهقي في شعب الإيمان عن خيثمة بن أبي خيثمة البصري ، قال : كان رجل يطوف ، ويقرأ سورة يوسف ، فيجتمع الناس عليه ، فإذا فرغ سأل ، فقال الحسن : كنت مع عمران بن حصين فمر به السائل ، فقام فاستمع لقراءته فلما فرغ سأل ، فقال عمران : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اذهب بنا فإني سمعت رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يقول : وذكر الحديث[٢].

وما ذكر في هذا الخبر هو عين ما نعيشه في واقعنا ممن نراهم في الشوارع والأسواق ، يقرأ أحدهم القرآن بلسانه ، وفي نفس الوقت تراه فاتحاً يده طالباً المال من الناس مقابل تلاوته ، وبعضهم لا يحسن قراءة القرآن فتسمعه يُكسر في الآيات الكريمات فإذ هو يرفع المنصوب ، وينصب المرفوع وهلم جر .

وصنف آخر ممن يقرأ القرآن على الأموات ، عُرف بذلك واشتهر به مقابل حفنة من المال ، يأتيه به من يريده أن يقرأ على ميته ، وعلى حسب المال تكون قراءته وتلاوته للقرآن .

وبعيداً عن مسألة وصول ثواب القرآن أو عدمه ، فإن هذا الرجل قد فقد شرطاً عظيماً ، وركناً ركيناً ينبغي أن يتحقق في هذه العبادة وغيرها ، وهو الإخلاص لله تعالى ، فأصبح لا يقرأ إلا من أجل المال ، فإن أعطي المال قرأ ، وإن لم يعط المال امتنع، فقراءته من أجل المال ، وامتناعه من أجل المال . نسأل الله العافية .

واعلم أن المسألة مذمومة من غير ضرورة شرعية ، أو حاجة ملحة ، فإذا كان السؤال بالقرآن الكريم كان أشد تحريماً ، فليس من أجل هذا أنزل القرآن .

---

[١] - أخرجه احمد : { ١٩٥٣٢ } ، وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم :(١١٦٩)..

[٢] - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان : { ٢٥١٧ }.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣- النهي عن قراءة القرآن عند المقابر :

عن أبي هريرة . رضي الله عنه . أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال : (لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة } رواه مسلم[١] .

نهى النبي . صلى الله عليه وسلم . المسلم عن تخلية بيته من الذكر وقراءة القرآن ، فتكون كالمقابر التي ليست محلاً لقراءة القرآن ، ولا مكانا لذلك . فلهذا حض على قراءة القرآن في البيوت ، ونهى عن جعلها كالمقابر التي لا يقرأ فيها : وقد جاء في الحديث الآخر في مسلم والبخاري أيضاً قوله . صلى الله عليه وسلم .: { صلوا في بيوتكم ، ولا تتخذوها قبوراً}[٢] . فهذا الحديث والذي قبله يدلان دلالة واضحة على أن المقابر ليست محلاً للعبادة من صلاة ، أو قراءة القرآن سواء كانت {يس } ، أو { الفاتحة } أو غيرها من آيات القرآن الكريم .

وقد ذهب جمهور السلف كأبي حنيفة ومالك وغيرهم إلى كراهة القراءة عند القبور وهو قول الإمام أحمد كما في (مسائل أبي داود) قال أبو داود : " سمعت احمد سئل عن القراءة في المقابر ؟ فقال : لا "[٣] أ.هـ .

فائدة : قال في (تحفة الأحوذي : ١٤٦/٨) : " وخص سورة البقرة بذلك لطولها ، وكثرة أسماء الله تعالى ، والأحكام فيها " أ.هـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله . (اقتضاء الصراط المستقيم : ٣٨٠): " ولا يُحفظ عن الشافعي نفسه في هذه المسألة كلام لأن ذلك كان عنده بدعة ، وقال مالك : ما علمت أحد يفعل ذلك ، فعلم أن الصحابة والتابعين ما كانوا يعملونه " أ.هـ .

٤. قراءة القرآن على الأموات :

يقول الله . عزوجل . في كتابه الكريم : {لِيُنذِرَ مَن كان حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ } يس:٧٠.

فهذه الحكمة التي من أجلها أنزل الله تعالى القرآن الكريم نذارةً وتذكيراً للأحياء ، فلم يكن قط للقراءة على الأموات ، ولم يثبت بذلك نص في كتاب الله أو سنة رسوله . صلى الله عليه وسلم . يدل على إيصال ثواب القرآن للميت ، بل الأمر عكس ذلك تماماً في الكتاب والسنة .

---

[١] - أخرجه مسلم :{ ٧٨٠ } .

[٢] - أخرجه البخاري : { ١١١٤ } ، ومسلم : { ١٢٩٦ } .

[٣] - انظر أحكام الجنائز للعلامة الألباني . رحمه الله . ص:١٩٢ . ١٩٣ . المسألة: ١٢٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الله ـ عز وجل ـ : {وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسان إِلَّا مَا سَعَى }النجم: ٣٩.

قال العلامة ابن كثير (التفسير: ٤/٢٧٦) : " أي كما لا يحمل عليه وزر غيره كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه ، ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي ـ رحمه الله ـ ومن اتبعه أن القرآن لا يصل إهداء ثوابه إلى الموتى لأنه ليس من عملهم ، ولا كسبهم ، ولهذا لم يندب إليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمته ولا حثهم عليه ، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء ، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ، ولو كان خيراً لسبقونا إليه ، وباب القربان يقتصر فيه على النصوص ، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء ، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمعٌ على وصولهما ، ومنصوص من الشارع عليهما " أ.هـ .

ولا مزيد على كلام هذا الإمام ـ ولا ينبئُك مثل خبير ـ فقد أجمل وأحسن ، وخير الهدي هدي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

٥ ـ النهي عن قراءة القرآن في السجود والركوع:

عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (ألا إني قد نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً ، فأما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء ، فقمن أن يستجاب لكم) رواه مسلم [١].

٦ـ إذا نعس وهو يقرأ القرآن :

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم[٢] القرآن على لسانه ، فلم يدر ما يقول فليضجع) رواه مسلم[٣].

قال النووي (شرح مسلم: ٦/٦١) : " وفيه الحث على الإقبال على الصلاة بخشوع ، وفراغ قلب ونشاط . وفيه أمر الناعس بالنوم أو نحوه مما يذهب عنه النعاس ، وهذا عام في صلاة الفرض والنفل في الليل والنهار " أ.هـ .

وقد جاء في حديث عائشة التصريح بالعلة التي من أجلها أمر بعدم مواصلة الصلاة من نعس فيها فقالت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه

---

[١] – أخرجه مسلم : { ٤٧٩ } ومعنى قمن : أي حقيق وجدير .

[٢] – أي : استغلق ولم ينطق به لسانه لغلبة النعاس .

[٣] – أخرجه مسلم : {٧٨٧ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النوم . فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه)[1] . وكل هذا خوفاً من الخلط والخبط في القرآن وحتى لا تلتبس عليه الآيات .

٧. عدم استعمال القرآن بدلاً من الكلام :

لقد اشتهر استخدام آيات القرآن عند بعض الناس في رد بعضهم على بعض كإجابة من سئل عن الساعة يجيبون بقولهم :(علمها عند ربي). والمخاطبة بينهم كالذين يقولون : (آتنا غداءنا)، ونحو ذلك فهذا إذا قُصد فهو بدعه ؛ قال في (المغني : ٧٧/٣) : " لا يجوز أن يجعل القرآن بدلاً من الكلام " .

٨ . قراءة القرآن بألحان الغناء:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله . (الاستقامة: ٤٨/١) : " ومع هذا فلا يسوغ أن يقرأ القرآن بألحان الغناء ، ولا يقرن بالغناء من الآلات وغيرها ، لا عند من يقول بإباحة ذلك ، ولا عند من يحرمه بل المسلمون متفقون على الإنكار أن يُقرن بتحسين الصوت بالقرآن الآلات المطربة بالفم كالمزامير ، وباليد كالغرابيل " أ.هـ.

وما ذكره شيخ الإسلام من قراءة القرآن بألحان الأغاني هو ما يفعله بعض القراء في هذا الزمن ممن لم يعرفوا فقه القراءة ، وروح التلاوة .

ويذكر الشيخ محمد بن صالح المنجد عنهم عجباً فيقول . حفظه الله . : (وبعضهم كان يحضر حفلة أم كلثوم في الصف الأول وعليهم العمائم ، من أجل أن يلتقطوا اللحن لكي يقرؤوا به في الإذاعة!!هذا عمل معروف عند هؤلاء القراء .

ولذلك النبي . صلى الله عليه وسلم . ذم هؤلاء ذماً عظيماً وأخبر أنه سيأتي قوم آخر الزمن يقرؤونه بهذه الصفة ، كما قال في الحديث الصحيح : (أخاف عليكم ستاً : إمارة السفهاء ، وسفك الدم ، وبيع الحكم[2] ، وقطيعة الرحم ، ونشواً يتخذون القرآن مزامير ، وكثرة الشرط)[3].

إذن قول النبي . صلى الله عليه وسلم . : (نشواً يتخذون القرآن مزامير) هذا هو المقصود بهؤلاء الذين يتكلفون ويتابعون الألحان ، ويجعلون القرآن مثل الأغاني .

---

[1] - أخرجه مسلم : { ٧٨٦ } .

[2] - يعني : اخذ الرشوة .

[3] - أخرجه أحمد : { ٣ / ٤٦٤ } من حديث عابس الغفاري ، وصححه الألباني في صحيح الجامع :{ ٢٨١٢ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإذن الغناء الذي يقصد به التطريب ، والعبث بالمدود ، وزيادة الحركات ، أو التأوهات فهذا لاشك أنه أمر مذموم وصاحبه آثم . ولما سئل الإمام أحمد . رحمه الله . عن قراءة الألحان قال : (هي بدعة)[1] .

لذلك يجب أن نفرق بين تحسين القراءة ، وتجميل الصوت ، والخشوع والحزن ، وبين مشابهة ألحان أهل الفسق (والأغاني) والتمطيط ، والتأوه والطلوع والنزول ، فهذا مذموم ومحرم " أ.هـ . (من القصص النبوي عبر وعظات ص: ٨١- ٨٢).

[1]- راجع المقصد الأرشد في ذكر الإمام أحمد : { ١ / ١٦٤ } ، { ٢/ ٨٠ } ، وقال أيضاً في رواية :(اتخذوا اغانينا ، اتخذوا اغا نينا).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفضل والإنعام من رب الأنام لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى لله بالليل والناس نيام

عن علي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (إن في الجنة غرفاً تُرى ظهورها من بطونها ، وبطونها من ظهورها ، فقام أعرابي فقال : لمن هي يا رسول الله ؟ قال: لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام وصلى لله بالليل والناس نيام) رواه الترمذي[1]

وصف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه الغرف وصفاً ، لم تتمالك نفوس الصحابة الصبر أمامه حتى يعرفوا من هم أهل هذه الغرف ، ومن السعداء الذين هم سكانها ، فكان سؤال الأعرابي عن ذلك، وما كان منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا أن ذكر شروط الظفر بها ، ونيل هذه الغرف .

وهذه الصفات الحميدة جمعت بين حقوق تتعلق بالخلق والإحسان إليهم، وأخرى تتعلق بعلاقة العبد مع الخالق ـ تبارك وتعالى ـ وأول هذه الصفات الأربع:

١ ـ طيب الكلام :

نعم الله على عباده لا تعُد ولا تُحصى ، ومن أعظم هذه النعم نعمة النطق التي يبين بها الإنسان عن مراده . وهذه النعمة تكون نعمة حقاً إذا استُعمل النطق بما هو خير ، أما إذا استُعمل بشر فهو وبال على صاحبه .

فإذاً الغاية من خلق هذا العضو ـ هو تسخيره في الكلام الحسن ، والقول السديد كما في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً{٧٠} يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً{٧١}الأحزاب : ٧٠ ـ ٧١ . فمن كان صاحب قول سديد ، ولفظ رشيد كانت ثمرة ذلك من العزيز الحميد ؛ صلاح الأعمال والقلوب ، وغفران السيئات و الذنوب .

---

[1] - أخرجه الترمذي : { ١٩٨٤ } ، وحسنه الألباني في المشكاة : { ٢٣٣٥ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الإمام أبو حاتم ابن حبان في كتابه (روضة العقلاء ص : ٤٥) : " الواجب على العاقل أن ينصف أذنيه من فيه ، ويعلم أنه إنما جُعلت له أذنان وفم واحد ليسمع أكثر مما يقول ، لأنه إذا قال ربما ندم، وإن لم يقل لم يندم ، وهو على رد ما لم يقل اقدر منه على رد ما قال ، والكلمة إذا تكلم بها ملكته، وإن لم يتكلم بها ملكها " .

والكلمة إذا لم توجه في الخير ، ويُحسن استخدامها تهلك الإنسان وتوبقه في النيران فعن أبي هريرة . رضي الله عنه . أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال : (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها، يهوي بها في النار أبعد مابين المشرق والمغرب) متفق عليه[1] .

وفي حديث معاذ بن جبل . رضي الله عنه . قال : قال رسول . صلى الله عليه وسلم . : (وهل يكُبُّ الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم) قالها جواباً لقول معاذ . رضي الله عنه . : (يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به) رواه الترمذي[2].

قال الحافظ ابن رجب . رحمه الله . : (جامع العلوم والحكم : ٢/ ١٤٧) : " وهذا يدل على أن كف اللسان وضبطه وحبسه هو أصل الخير كله ، وأن من ملك لسانه فقد ملك أمره ، وأحكمه ، وضبطه). ونقل عن يحي بن أبي كثير قال : (ما صلح منطق رجل إلا عرفت ذلك في سائر عمله ، ولا فسد منطق رجل قط إلا عرفت ذلك في سائر عمله)[3].

ولقد جاءت النصوص ببيان فضيلة حسن الكلام ، وطيب المنطق ، ولين الحديث :

أ / من أسباب الوقاية من النار :

عن عدي بن حاتم . رضي الله عنه . أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال : (اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة) رواه البخاري ومسلم[4]

فالكلمة الطيبة سبب للوقاية من النار ، واتقاء حرها وعذابها ، أجارنا الله من ذلك .

---

[1] البخاري : { ٦٤٧٧}، ومسلم : { ٢٩٨٨} واللفظ له .

[2] أخرجه الترمذي : { ٢٦١٦ } وقال :حديثٌ حسنٌ صحيح.

[3] انظر:(رفقاً أهل السنة بأهل السنة) للعلامة المحدث عبد المحسن العباد: { ١٥ ـ ٢٢ } .

[4] البخاري : { ١٤١٣ } ،ومسلم :{ ١٠١٦ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ب/ حسن الكلام من موجبات المغفرة :

عن هانئ بن يزيد أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (إن من موجبات المغفرة بذل السلام، وحسن الكلام) [1] فتأمل إلى هذا الفضل العظيم من رب كريم ، طريقه وسبيله ، بذل السلام ، وحسن الكلام .

ج/ حسن الكلام من حقوق الطريق :

عن أبي طلحة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (مالكم والمجالس في الصعدات [2] اجتنبوا مجالس الصعدات أما وإلا ، فأدوا حقها ، غض البصر ، ورد السلام ، وإهداء السبيل، وحسن الكلام) رواه مسلم[3]

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ (الفتح: ١٢/١١) : " وأما إحسان الكلام ، فقال عياض : فيه ندب إلى حسن معاملة المسلمين بعضهم لبعض، فإن الجالس على الطريق يمر به العدد الكثير من الناس، فربما ، سألوه عن بعض شأنهم ، ووجهة طرقهم ، فيجب أن يتلقاهم بالجميل من الكلام ، ولا يتلقاهم بالضجر ، وخشونة اللفظ ، وهو من جملة كف الأذى " أ.هـ .

٥ - إطعام الطعام :

(وفي هذا فضيلة عظيمة لمن يطعم الطعام ، والأدلة على فضل إطعام الطعام كثيرة في كتاب الله وسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .
فالمولى ـ عز وجل ـ يقول في كتابه الكريم في وصف عباده المؤمنين: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً) الإنسان:٨.
. شعارهم في هذا العمل :(إِنَمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً) الإنسان:٩.
ويفعلون ذلك من أجل أنهم (إِنا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً) الإنسان:١٠.
فكان الجزاء من الله تعالى: (فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً) الإنسان:١١.
ومن الجرائم العظام لمن استحق سقر : (وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ) المدثر:٤٤ .
ولقد نبهتنا الآيات في سورة الإنسان أن عباد الله المؤمنين ما نالوا ذلك كله إلا بإخلاصهم ،وابتغائهم وجه الله تعالى.
وإلا فإن حاتماً الطائي – أكرم العرب – ما نفعه ذلك عند الله شيئا، قال عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ : يا رسول الله؟ إن أبي كان يحمل الكل، ويقرئ الضيف، ويعين على نوائب الحق، فهل ينفعه ذلك عند الله؟ فقال له ـ صلى الله عليه وسلم ـ:(إن أباك طلب شيئاً فأصابه) رواه أحمد وابن حبان والطياليسي(٤).

---

[1] رواه الطبري : { ١٨٣١١ } والخرائطي في مكارم الأخلاق ص:٢٣ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة : { ١٠٣٥ }

[2] - جمع صعيد : وهو المجلس الواسع

[3] - أخرجه مسلم : { ٢١٦١ }

(٤) أخرجه أحمد حديث: (١٧٩١٢)، وابن حبان حديث:(٣٣٣١) ، والطيالسي:(١١١٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أي: طلب الذكر والثناء في الدنيا فأصاب ذلك، فهو إلى اليوم يضرب به المثل في الكرم،ولكن الأجر والمثوبة فليس له شيء.
وممن كان مشهوراً عند الجاهلين بإطعام الطعام ،وإكرام الضيفان، عبدالله بن جدعان، فقد كان يقري الضيوف، وما يأتي حاج إلا ويزوده إلى أهله، في الجاهلية ، تقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ : يا رسول الله إن ابن جدعان كان يقري الضيوف، ويفك العاني، ويصل الرحم، ويحسن الجوار، فهل ينفعه ذلك؟ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (لا إنه لم يقل يوماً قط، اللهم اغفر لي خطيئتي يوم الدين) رواه أحمد والحاكم(١).
وعلى المسلم وهو يسمع هذه الأخبار أن يحمد الله الغفار على نعمة التوحيد ، وإخلاص العبادة لله تعالى.
وقد جاءت النصوص في سنة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :(فكوا العاني ـ يعني الأسير ـ ،وأطعموا الجائع، وعودوا المريض) رواه البخاري(٢) .
قال ابن بطال :(قال أبو الزناد: في هذا الحديث الحض على المواساة، واستجلاب قلوب الناس بإطعام الطعام ، وبذل السلام، لأنه ليس شي أجلب للمحبة، وأثبت للمودة بينهما)أ.هـ.
وإطعام المساكين، سبب في دخول الجنة، وقد كان هذا العمل من شعار الصالحين.
فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال: أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ : أنا، قال فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر :أنا، قال: فمن أطعم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر : أنا، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر : أنا، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة) أخرجه مسلم (٣).
وقد حث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبا ذر ـ رضي الله عنه ـ ، وأوصاه بإطعام الجيران ففي صحيح مسلم – أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (يا أبا ذر إذا طبخت مرقة، فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك) رواه مسلم(٤).
وعن عبدالله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام) رواه أحمد وابن ماجة.(٤)
وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (إن في الجنة غرفا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، قالوا لمن هي يا رسول الله؟ قال (لمن أطعم الطعام ، وأطاب الكلام ، وصلى بالليل والناس نيام) .(٥)
وإطعام الطعام من خير الأعمال في الإسلام فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ إن رجلاً سأل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ، ومن لم تعرف) (٦)

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم:(٢٤٣٣٥)، والحاكم في مستدركه كتاب التفسير – تفسير سورة الشعراء.انظرالسلسلة الصحيحة رقم :(٢٩٢٧).
(٢) أخرجه البخاري – كتاب المرضى – باب وجوب عيادة المريض.
(٣) أخرجه مسلم – كتاب الزكاة – باب من جمع الصدقة.
(٤) أخرجه مسلم – كتاب البر والصلة – باب الوصية بالجار والإحسان إليه.
(٤) أخرجه أحمد برقم :(٢٣١٤٧)، وابن ماجة ـ كتاب إقامة الصلاة ـ باب ما جاء في قيام الليل انظرالسلسلة الصحيحة رقم :(٥٦٩).
(٥) أخرجه أحمد ـ حديث:(٦٤٤٣).انظر صحيح الترغيب والترهيب :(٣٧٠٨).
(٦) أخرجه البخاري ـ كتاب الإيمان ـ باب : إطعام الطعام من الإسلام ، و مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب بيان تفاضل الإسلام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإطعام الطعام، من مكارم الأخلاق وحميد العادات، وهو علامة الجود والسخاء ، ومكارم الأخلاق، وفيه نفع للمحتاجين ، وسد الجوع.
وقد امتدح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأشعريين من الصحابة، لاتصافهم بهذا الخلق الكريم، وتعاونهم فيما بينهم، وتراحمهم على أدناهم ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديث أبي موسى: (إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو ، وقل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم بالسوية، فهم مني وأنا منهم) متفق عليه (١).
ومعنى أرملوا: أي فني طعامهم.
قال الإمام النووي ـ ـ رحمه الله ـ تعالى (شرح مسلم:٥٨١/١٦): (وفي هذا الحديث: فضيلة الأشعريين، وفضيلة الإيثار والمواساة، وفضيلة خلط الأزواد في السفر، وفضيلة جمعها في شيء عند قلتها في الحضر ثم يقسم) أ.هـ.
والإطعام هو داخل في باب الإنفاق والصدقة، والتي تكاثرت النصوص من الكتاب والسنة في فضلها، وبيان أن الله يخلف على صاحبها، وهو ما بقى للإنسان لحياته الأخروية .
فاللهم قنا شح نفوسنا، واخلف علينا بخير، واجعلنـــا في جنات الفردوس في عليين)٢.

(١) أخرجه البخاري – كتاب الشركة – باب الشركة في الطعام والتعبد والعروض، ومسلم – كتاب فضائل الصحابة – باب من فضائل الأشعريين.
(٢) بنصه من كتابي (قصة صاحب الرغيف) ـ طبعة دار الإيمان ـ الإسكندرية . .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣- وأدام الصيام :

قال الإمام المباركفوري ـ رحمه الله ـ (تحفة الأحوذي : ٦ / ١٠١ ـ ١٠٢): " (وأدام الصيام) أي : أكثر منه بعد الفريضة بحيث تابع بعضهما بعضاً ، ولا يقطعها رأساً ، قاله ابن الملك . وقيل : أقله أن يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ".

قلت : وفيه فضيلة الصيام ، وعظيم أجر أهله ، فالصيام من أجل العبادات ، وأفضل القربات .

١- عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (قال الله ـ عزوجل ـ: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحدٌ أو قاتله ، فليقل: إني صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما : إذا فطر فرح بفطره . وإذا لقي ربه فرح بصومه) متفق عليه .

وفي رواية البخاري : (ويترك طعامه وشرابه ، وشهوته ، من أجلي ، الصيام لي وأنا اجزي به ، والحسنه بعشر أمثالها) .

وفي راوية مسلم : (كل عمل ابن آدم يضاعف : الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال تعالى : إلا الصوم فإنه لي وأنا اجزي به من يدع شهوته وطعامه من أجلي . للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحه عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)[١] .

٢- الصيام ، وباب الريان :

عن أبي هريرة . رضي الله عنه . أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (من أنفق زوجين[٢] في سبيل الله نوُدي من أبواب الجنة : يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد ، دعُي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام ، دُعي من باب الريان ، ومن كان من أهل الصدقة ، دُعي من باب الصدقة) متفق عليه[٣].

---

[١] - أخرجه البخاري : { ١٩٠٤ } ، ومسلم { ١١٥١ } .

[٢] - قوله :(زوجين)أي : صنفين .

[٣] - أخرجه البخاري : { ١٨٩٧ } ، ومسلم : { ١٠٢٧ }.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعن سهل بن سعد . رضي الله عنه . قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (إن في الجنة باباً يقال له (الريان) يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد) رواه البخاري ومسلم[1]

٣- الصيام جنة :

٤- عن جابر بن عبد الله . رضي الله عنهما . قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (الصيام جُنَّةً يستجن بها العبد من النار) رواه احمد[2] .

وعن عثمان بن أبي العاصي . رضي الله عنه . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (الصيام جنة من النار ، كجنة أحدكم من القتال) رواه احمد وابن ماجة[3] .

٥- وصية النبي . صلى الله عليه وسلم . :

وعن أبي أمامة . رضي الله عنه . عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . أنه قال : (عليك بالصوم ، فإنه لا عدل له) رواه النسائي وابن حزيمة.[4]

وعند ابن حبان : قلت : يا رسول الله دلني على عمل أدخل به الجنة قال : (عليك بالصوم فإنه لا مثل له) وكان أبو أمامة لا يُرى في بيته الدخان نهاراً إلا إذا نزل بهم ضيف .

٦- فضل الصيام في الحر:

عن عبد الله بن عباس . رضي الله عنهما . (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . بعث أبا موسى على سرية في البحر ، فبينما هم كذلك ، قد رفعوا الشراع في ليلة مظلمة إذا هاتف فوقهم يهتف : يا أهل السفينة قفوا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه ، فقال أبو موسى : أخبرنا إن كنت مخبراً قال : إن الله . تبارك وتعالى . قضَى على نفسه أنه من أعطش نفسه له في يوم صائف ، سقاه يوم العطش).

وفي راوية : (إن الله قضى على نفسه أن من عطش نفسه لله في يوم حار ، كان حقاً على الله أن يرويه يوم القيامة .

---

[1] - أخرجه البخاري : { ١٨٩٦ } ، ومسلم : { ١١٥٢ } .

[2] - أخرجه احمد : { ١٤٣٨٠ } .

[3] - أخرجه أحمد : { ١٥٩٥٤ } ، وابن ماجة { ١٦٣٩ } ، وانظر صحيح الترغيب : { ٩٧١ } .

[4] - وأبن خزيمة { ١٧٧٦ } ، و أخرجه النسائي : { ٢٢٢٢ }.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال: فكان أبو موسى يتوخى اليوم الشديد الحر الذي يكاد ينسلخ فيه حراً فيصومه)[1]

- **شفاعة الصيام لأهله :**

عن عبد الله بن عمرو . رضي الله عنهما . أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . قال : (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوة ، فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل ، فشفعني فيه ، قال : فيشفعان) رواه احمد والطبراني[2] .

فهذه بعض الأحاديث في فضل الصيام عموماً ، وهناك أحاديث أخرى تذكر فضائل صيام بعض الأيام أو الشهور فمن ذلك صيام شهر المحرم ، ويوم عرفة وعاشوراء ، والست من شوال ، والاثنين والخميس ، وثلاثة أيام من كل شهر .

ولولا خشية الإطالة لفصلت في الأمر ، ولكن عد إلى ذلك في مظانها .

[1] - انظر صحيح الترغيب والترهيب للألباني برقم : { ٩٧٤ } .

[2] - أخرجه أحمد : { ٦٤٣٢ } ، و رواه الطبراني : { ١٣٥٠٩ } ، وانظر صحيح الترغيب برقم : { ٩٧٣ } .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

. وصلى لله والناس نيام .

صلاة الليل هي أفضل الصلاة بعد الفريضة ، وبذلك ثبت النص عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة . رضي الله عنه . قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل) رواه مسلم[1] .

وقيام الليل فيه فضائل كثيرة جاءت في حديث أبي أمامة الباهلي - . رضي الله عنه . - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم . قال : (عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة إلى ربكم ، ومكفرة السيئات ، ومنهاة عن الإثم } رواه الترمذي[2] .

وقد دعا النبي . صلى الله عليه وسلم . لرجل وامرأة قاما من الليل ، فصليا ، دعا لهما بالرحمة كما في حديث أبي هريرة . رضي الله عنه . قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى ، وأيقظ امرأته ، فإن أبت نضح في وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها ، فإن أبى نضحت في وجهه الماء) رواه أبو داود والنسائي[3] .

وثلاثة يحبهم الله ومنهم قائم الليل ، فعن أبي الدر داء . رضي الله عنه . قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ثلاثة يحبهم الله ، ويضحك إليهم ، ويستبشر بهم : الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله . عزوجل . ، فإما أن يقتل ، وإما أن ينصره الله ويكفيه ، فيقول :انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه ، والذي له امرأة حسنة ، وفراش لين حسن ، فيقوم ، فيقول : يذر شهوته ويذكرني ، ولو شاء رقد ، والذي إذا كان في سفر كان معه ركب ، فسهروا ثم هجعوا ، فقام من السحر في ضراء وسراء) رواه الطبراني[4] .

وقد نبه الرسول . صلى الله عليه وسلم . إلى أمر الإخلاص لله تعالى ، بقوله :(وصلى لله) فله لا لغيره قام يتهجد في جنح الليل ، والناس من حوله نيام ، قد علاهم الشخير ، وهو يؤثر قيامه الليل على هنأة الفراش ، وغمضة العين .

فيا حسرة من فعل ذلك لغير الله ، ومن أتعب نفسه بعمل يلقاه يوم القيامة هباءً منثوراً ، بسبب رياءه ، وطلبه الأجر من الناس بالثناء والمديح . نعوذ بالله من ذلك . (فرب قائم ليس له من قيامه إلا السهر)[5] .

---

[1] - أخرجه مسلم : { ١١٦٣ } .

[2] - أخرجه الترمذي : (٣٥٤٩) ، وحسنه الألباني صحيح الترغيب :{ ٦٢٠ } .

[3] - أخرجه أبو داود : { ١٣٠٨ }، والنسائي : { ١٦١٠ } ، وصححه الألباني الترغيب :{ ٦٢١ } .

[4] - انظر صحيح الترغيب والترهيب للعلامة الألباني برقم : { ٦٢٥ } .

[5] حديث مرفوع رواه ابن ماجة :(١٦٩٠) عن أبي هريرة . رضي الله عنه . ،، وصححه الألباني في صحيح الجامع : { ٣٤٨٨ }

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

. أي المنزلين تختار ؟

عن أبي هريرة . رضي الله عنه . أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . . قال : (ما منكم من أحد إلا له منزلان : منزل في الجنة ومنزل في النار ، فإذا مات فدخل النار ، ورث أهل الجنة منزله ، فذلك قوله تعالى : (أولئك هم الوارثون) المؤمنون: ١٠٠ رواه ابن ماجة[١] .

وعن أبي هريرة . رضي الله عنه . قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : (لا يدخل أحدُ الجنة إلا أُرى مقعده من النار لو أساء ، ليزداد شكراً ، ولا يدخل النار أحدٌ إلا أُري مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرةً) رواه البخاري[٢] .

إن لكل واحد من الخلق منزلين ، أحدهما في الجنة والآخر في النار فإذا سعى المؤمن في طاعة الله تعالى، وعمل الصالحات ، وامتثل أمر رب الأرض والسموات ، واجتنب المنهيات ، فقد سعى في فكاك نفسه من النار .

ومعنى ذلك في حديث أبي موسى . رضي الله عنه . أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . قال : (إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانيا فيقول : هذا فكاكك من النار) رواه مسلم[٣] .

قال النووي : "ومعنى (فكاكك) : أنك كنت معرضاً لدخول النار ، وهذا فكاكك ، لأن الله تعالى قدر للنار عدداً يملؤها ، فإذا دخلها الكفار بذنوبهم وكفرهم ، وصاروا في معنى الفكاك للمسلمين . والله أعلم "[٤]

فيا معشر المسلمين الكرام . من الرجال والنساء والشباب والفتيات . ليسع كل منا إلى خلاص نفسه من منزل النار ، فإنها بئس القرار ، وسوء الدار . ولن يكون ذلك إلا بالجد والاجتهاد ، والعمل الصادق ، والسعي الحثيث في التمسك بكتاب الله وسنة رسوله . صلى الله عليه وسلم . . بالبعد عن الشركيات والخرافات ، والبدع ، والمخزيات ، والمعاصي والسيئات .

وعليك ـ أخي الكريم . أختي الكريمة . أن يسعى كل منكما إلى عمارة منزله في الجنة ، وبناء لبناته ، ووضع أساسه .

---

[١] - أخرجه ابن ماجة : { ٤٢٦٨ } ، وصححه الألباني في الصحيحة : { ٢٢٧٩ } .

[٢] - أخرجه البخاري : { ٦٥٦٩ } .

[٣] - أخرجه مسلم : { ٢٧٦٧ } .

[٤] - شرح رياض الصالحين { ١ / ٧٧٠ } لابن عثيمين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكل ذلك قد علمت طريقه ، وهديت إلى سبيله ، وذكرتُ لك أسبابه في هذا المؤلف المتواضع الذي يرجوك كاتبه ألا تنساه من دعوة صالحة في ظهر الغيب ينفعه الله بها وإياك .

وأسال المولى . عزوجل . أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل ، وأن يجعلنا من أهل هذه الصفات التي من حققها بُني له بيوت وقصور ، ومنازل في جنة رب الأرض والسموات .

اللهم آمين ،،،

وكتبه أبو مالك / عدنان بن عبده بن أحمد بن سعيد بن علي المقطري

٥/ محرم ١٤٣١ هـ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأعمدة الشامخة للكتاب

التسلسل	المرجع	المؤلف	الطبعة
١	**الاستقامة**	شيخ الإسلام ابن تيمية	دار البصيرة - لإسكندرية
٢	الإيمان والعمل الصالح سبب النجاح	علي بن نايف الشحوذ	طبعة خيرية
٣	**إحكام الأحكام** شرح عمدة الأحكام	ابن دقيق العبد	دار الفكر للطباعة والنشر
٤	**أحكام القرآن**	ابن العربي لمالكي	شركة القدس للتصوير
٥	**أحكام الجنائز**	محمد ناصرالدين الألباني	المكتب الإسلامي
٦	**الأخلاق بين الطبع والتطبيع**	فيصل الحاشدي	دار الإيمان - الإسكندرية
٧	**آداب عيادة المريض**	عقيل المقطري	ملتقى التقوى الدعوي الخيري
٨	**الأذكار** المنتخبة من كلام سيد الأبرار	محي الدين النووي	دار إحياء التراث العربي
٩	إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل	محمد ناصرالدين الألباني	المكتب الإسلامي
١٠	**إرواء الغليل في فقه الرؤيا والتأويل**	أبو عمر عادل بن أبي زيد	مكتبة مكة - مصر
١١	**أصل صفة الصلاة**	محمد ناصرالدين الألباني	مكتبة المعارف - الرياض
١٢	**أعلام السنة المنشورة** لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة	حافظ الحكمي	طبعة خاصة بالمنتدى الإسلامي
١٣	**اقتضاء الصراط المستقيم**	شيخ الإسلام ابن تيمية	دار الأنصار للنشر والتوزيع
١٤	**بداية المجتهد ونهاية المقتصد**	ابن رشد الحفيد	دار العقيدة - مصر
١٥	**البداية والنهاية**	أبوالفداء ابن كثير	مكتبة الصفا - مصر
١٦	تحفة الأحوذي بشرح جامع االترمذي	أبو العلاءالمباركفوري	دار الكتب العلمية بيروت
١٧	ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله	سيد عفاني	مكتبة معاذ بن جبل - دار العفاني
١٨	**تفسير القرآن العظيم**	أبوالفداءابن كثير	دار المعرفة - بيروت
١٩	**تفسير جزء عم**	محمد بن صالح العثيمين	دار الثريا للنشر
٢٠	تفسيرالربانيين لعموم المؤمنين (جزء عم)	مصطفى العدوي	مكتبة الضياء - طنطا
٢١	**تمام المنة في التعليق على فقه**	محمد ناصرالدين الألباني	دار الرايةللنشر والتوزيع
٢٢	**توضيح الأحكام من بلوغ المرام**	عبدالله بن عبد الرحمن البسام	دارابن الهيثم - القاهرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٣	تهذيب سيرة ابن هشام	عبد السلام هارون	مؤسسة الرسالة- دار البحوث العلمية الكويت
٢٤	تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية	عبد العزيزالجبرين	مطبعة سفير- الرياض
٢٥	تيسير الوصول إلى مايحبه الرسول	عدنان المقطري	دارعالم الفوائد - للنشر والتوزيع - مصر . الطبعة الأولى
٢٦	الخطب المنبرية في المناسبات العصرية	صالح بن فوزان الفوزان	مؤسسة الرسالة - بيروت
٢٧	الجامع لأحكام القرآن	محمدبن أحمد القرطبي	مكتبة جزيرة الورد - مكتبة الإيمان
٢٨	الجمعة آداب وأحكام	مصطفى العدوي	
٢٩	رفقاً أهل السنة بأهل السنة	عبد المحسن العباد	دار المغني للنشر والتوزيع
٣٠	زاد المعاد في هدي خير العباد	ابن القيم الجوزية	مؤسسة الرسالة ناشرون
٣١	سبل السلام شرح بلوغ المرام	ابن الأميرالصنعاني	دارالبصيرة - الإسكندرية
٣٢	سلسلة الآداب الشرعية	محمد بن صالح المنجد	دارالقدس - اليمن
٣٣	سلسلة العلامتين ابن باز والألباني	مطوية دعوية	
٣٤	سنن الترمذي	أبوعيسى الترمذي	بيت الأفكار الدولية
٣٥	سنن أبي داود	أبوداود السجستاني	مكتبة المعارف
٣٦	سنن النسائي	أحمد بن شعيب النسائي	مكتبة المعارف
٣٧	سنن ابن ماجة	محمد القزويني (ابن ماجة)	مكتبة المعارف
٣٨	سير أعلام النبلاء	شمس الدين الذهبي	مؤسسة الرسالة - بيروت
٣٩	السيرة النبوية	عبد الملك بن هشام	دارابن الهيثم - القاهرة
٤١	السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار	محمدبن علي الشوكاني	دارابن حزم - بيروت
٤٢	السلسلة الصحيحة	محمد ناصرالدين الألباني	دار المعارف
٤٣	السلسلة الضعيفة	محمد ناصرالدين الألباني	دار المعارف
٤٤	السوق آداب وأحكام	أيمن بركات	دار أصحاب الحديث - المنصورة
٤٥	شرح الأربعين النووية	محمدالعثيمين	دار الثريا للنشر
٤٦	شرح حصن مسلم	أبو مسلم الأحمد	مكتبة الهدي المحمدي
٤٧	شرح رياض الصالحين	محمدالعثيمين	دارالسلام للطباعة والنشر- القاهرة .
٤٨	شرح السنة	الحسين بن مسعودالبغوي	دار الكتب العلمية - بيروت
٤٩	الشرح الممتع على زاد المستقنع	محمدالعثيمين	دارابن الجوزي - السعودية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥٠	صحيح الإمام مسلم	مسلم بن الحجاج النيسابوري	دارالسلام ـ الرياض
٥١	صحيح الأدب المفرد	محمد ناصرالدين الألباني	دار الصديق ـ السعودية
٥٢	صحيح الإمام البخاري	محمدبن إسماعيل البخاري	دارالسلام ـ الرياض
٥٣	صحيح الجامع	محمد ناصرالدين الألباني	المكتب الإسلامي
٥٤	صلاح الأمة في علو الهمة	سيد عفاني	مؤسسة الرسالة ـ بيروت
٥٥	الضياء اللامع من خطب الجوامع	محمدالعثيمين	مؤسسة الرسالة ـ بيروت
٥٦	الطريق إلى الجنة	عبده بن أحمد الغامدي	دار الطرفين ـ السعودية
٥٧	عون المعبود شرح سنن أبي داود	للطيب آبادي	دارالفكر- بيروت
٥٨	فتاوى أركان الإسلام	محمدالعثيمين	دار الثريا للنشر
٥٩	فتح الباري الباري شرح صحيح البخاري	ابن حجر لعسقلاني	المطبعة السلفية ومكتباتها
٦٠	فضل الإسلام	محمد بن عبد الوهاب النجدي	
٦١	فقه الأدعية والأذكار	عبد الرزاق العباد	كنوز أشبيليا
٦٢	فقه العبادات	على القليصي	مكتبة الإرشاد- اليمن
٦٣	قصة صاحب الرغيف	عدنان المقطري	دارالإيمان ـ الإسكندرية
٦٤	القول المفيد على كتاب التوحيد	محمد العثيمين	دار ابن الجوزي ـ السعودية
٦٥	الكبائر	شمس الدين الذهبي	وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ـ قطر
٦٦	مجموع الفتاوى	شيخ الإسلام ابن تيمية	مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة
٦٧	مختار الصحاح	محمد بن أبي بكر الرازي	دار الغد الجديد ـ مصر
٦٨	مكارم الأخلاق	محمدالعثيمين	دار الإيمان ـ الإسكندرية
٦٩	مكارم الأخلاق في ضوء الكتاب والسنة	سليم الهلالي	دار ابن القيم ـ السعودية دار ابن عفان ـ مصر
٧٠	من القصص النبوي عبر وعظات	محمد بن صالح المنجد	دارالفجرللتراث ـ مصر
٧١	المدخل لابن الحاج	أبوعبدالله المالكي	مكتبة دار التراث ـ القاهرة
٧٢	الملخص الفقهي	صالح الفوزان	دارا لإيمان ـ الإسكندرية
٧٣	الموطأ	الإمام مالك بن أنس	جمعية احياء التراث الإسلامي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٧٤	نيل الأوطار	محمد بن علي الشوكاني	الشركة الدولية للطباعة	
٧٥	وميض من اليمن في الخطب للجوامع	سعيد الحداد	دار البصيرة ـ الإسكندرية	

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com